
موجز
تاريخ
الطب
لمرحلة
ما قبل
الإسلام
للدكتور

اهداءات ١٩٩٤

المملكة العربية

السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

موجز تاريخ الطب لمرحلة
ماقبل الاسلام

للدكتور يوسف عبد الله الحميدان

(الجزء الثالث)

صـدر

عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون

الإهـــداء

الى كل خَلْقٍ أصيل ... والى كل خُلُق نبيل... الى عُمَرَ الفاروق رضى الله عنه... والى حكمته الخالدة... أقدم هذه المواقف:

١ ــ سأل أحدهم عن شيىء فقال ... الله أعلم.

٢ ــ فقال عمر رضى الله عنه ... لقد شقينا ان كنا لانعلم بأن الله اعلم.

٣ ــ فاذا سئل احدكم عن شيىء لايعلمه ... فليقل لاعلم لي.

(ايضــــــاح)

ومرة ثالثة نعود الى القارئ الكريم... نعود ومعنا شيء جديد... كان ذلك الجديد في يوم من الأيام موجوداً... ولكنه أما غامضاً أو مجهولاً... وما مضمون الجزء الثالث من موجز الطب (لمرحلة ماقبل الاسلام) الا غرض من الاغراض كان له صولات وجولات في شبه الجزيرة العربية... ترى كيف كانت حقيقته...!؟

أولا ــ ان ربط مسيرة الماضي بالحاضر ربطا وثيقا ليس بالأمر الهين... كما أن عملية التطور العلمي والأدبي والاجتماعي ليست سهلة (متى وضعت تحت مجهر الحقائق) التاريخية.

ثانيا ــ وان اكتشاف الاخطاء من خلال تلك المسيرة... ماكنا نقصد منها (بأى حال من الأحوال) تعديل المسار.. بقدر ماكنا نريد خدمة (العلم والمعرفة) وكيف استحالت الى أسرار.

ثالثا ــ ان مداراة الأخطاء (حتى ولو كانت تافهة) نعزوها دائما اما الى الجهل واما الى التجاهل... ولاأعتقد أننا (في هذا العصر) من أنصار تلك المداراه... بل نحن من أنصار الحقيقة التاريخية.

رابعا ــ واذا كنا قد توارثنا تلك الأخطاء بنية سليمة... فلا يعني هذا أننا (نسير مع الغفلة) الى آخر الزمان.

خامسا ــ فلقد عرفنا من معلومات العصر الحديث.. وفهمنا منها أسراراً كثيرة... فتحت أمامنا أبواباً واسعة للجدل والحوار.

سادسا ــ الأمر الذى يجعلنا نقول (إذا كان من عادة أولئك القوم وأخلاقهم) احتقار أمور من أمور حياتهم... فليس من عادتنا نحن أن نقف متفرجين على مرور الأخطاء وتسلسل تلك الأتهامات.

سابعا ــ فمن حقنا أن نحلل أوضاع المجتمعات القديمة... تحليلا يتفق ومنطق العصر الحديث الذى نعيش فيه... ولاأعتقد أن القارئ الكريم قد نسي تحليلاتنا (لمجتمعات) الحضارات القديمة في الجزئين السابقين.

ثامنا ــ وأياً ماكان الأمر.. فان الخطأ في عرف الجميع هو (خطأ بسيط) ولكنه في (عرف العالم الباحث المؤرخ) هو خطأ يجب تصحيحه وتعديله.

تاسعا ــ وكما هو الحال والدارج أنني عندما أصف هذا الشيء بأنه (طيب) فالأمر سيكون نسبياً.. أي أنه طيب بالنسبة لي ولتصوراتي.. ونفس الشيء يسري على غيري. فعندما يقول ذلك الغير بأن ذلك الشيء (غير جيد) فالأمر أيضاً سيكون نسبياً.. أى أنه غير جيد بالنسبة له ولتصوراته.. ولكن عندما تكون هناك مقارنة مابين حدثين أو (واقعين) أو موقفين..

فالأمر يختلف للدلالة على (وجود) حقيقتين فعلا..
وان المقارنة فيما بينهما يخلق (وجود) حقيقة ثالثة..
وبدون شك أن الدليل والبرهان الواقعي (لحقائق ثلاثة) لايحتاج الى تساؤلات.

فهذه هي بديهيات العقل البشري. العقل الذى لازلنا نخوض في تكوينه وتطوره.. ولازلنا نبحث في مميزاته وانتاجه من حسن الى احسن. والى نهاية الوجود.

واخيرا وبما ان المقارنات العلمية والاجتماعية الحديثة قد فتحت امامنا ابوابا مغلقة.. وجعلتنا نتساءل عن احداث ومواقف كانت واضحة وهي (حسب تفكيرهم) غامضة:ـ

١ ــ فلماذا يبحث العلماء والأطباء في الوقت الحاضر عن وسائل متعددة لسلامة الانسان وصحته؟.

٢ ــ ولماذا يبحث ألحكماء والفلاسفة عن طرائق جديدة لإعادة السعادة (المفقودة) الى الانسان؟.

٣ ــ ألا يعني هذا كثرة العلل والآفات والالام؟. لافي بدن الانسان الجديد فقط.. وانما في نفسه وعقله وروحه ايضا؟.

٤ ــ ألا يعني ان العلل والويلات عند الدول الجديدة هي أقسى وأعنف مما كانت عليه في الدول القديمة؟.

ان الشيء الوحيد الذى (اعتقده صحيحا) هو جهل العلماء والحكماء والأطباء المحدثين (بتكوينات الذات البشرية القديمة) فلا يغرنك ماتراه من تقدم في انتاج الابحاث. ولا يغرنك ماتسمعه من تخبط في علاج النفس المريضة والعقل المريض والبدن المريض.. انهم كلهم يبحثون عن شيىء مفقود.. وانهم كلهم يبحثون عن شيىء ناقص.. ناقص في نفوسهم هم.. ومفقود في اذهانهم هم.. قد يدركونه ولا يبوحون به.. وقد يمارون به او يكابرون.. فالذى يعنينا في عصرنا الجديد هو عدم البحث في النقائص الاجتماعية أو العيوب العامة.. والذى يعنينا أكثر ذلك الذى هو أثمن وأغلى من تلك النقائص والعيوب... سلامة العقل... سعادة النفس... قدسية الروح... وصحة البدن. (وان كانت على التربية القديمة). فكل الأمم العصرية والشعوب الجديدة في همومها واكدارها سواء.

كم هو عجيب الخلط من الباحثين والمؤرخين للحضارات القديمة.. يجعلون من الطيب طيبا حسب الهوى ويجعلون من الخبيث خبيثاً حسب الهوى. وهذا هو العيب الذى يحتاج الى تعديل وتصحيح.. ترى هل ننجح؟.

ان كل الذين كتبوا أو نقلوا عن عصور العرب القديمة.. وكل الذين حللوا أو ناقشوا مواقف تلك الأمم وتلك الأيام.. ماكانوا يكتبون (او يحللون) أو ينقلون إلا ماكان ظاهرا فقط.. فهم لم يكتبوا قط اسرار النفوس وخفايا تفكيرهم الكامنه.. وهم لم يحللوا أو يناقشوا قط تلك الصفحات المدفونة في الذات البشرية ولاتلك الحقائق التى تحتل واقع افكارهم وانفعالاتهم

(المحلية وغير المحلية). فلقد تبين لنا في العصر الحاضر ماهو أعمق وأعجب. وهو أمر يشير الى نصف الحقيقة و يترك النصف الآخر اما غفلة واما تغافلا:

ومن يك ذا فم مرٌ مريض يجد مراً به الماء الزلالا.

مدخل اجتماعي لأعماق شبه الجزيرة العربية

(من خلال الحضارات المحيطة بها)

الحضارات المجاورة : ETHNOGRAPHY

بلاد فارس :

يقول الاستاذ (أرثر — أربرى) من جامعة كيمبرج ماموجزه:—

ان الفرس قوم رعاة..أبناء أرض وعره. وهي أم قاسية لشعب يعيش على الهواء الطلق وعلى الحياة بدون نوم.

وهو شعب آرى نزل من بطاح اسيا الوسطى الى تلك المراعي الوعره التي اطلق عليها الاغريق (برسيس) ويسميها أهل العصر الحاضر بلاد فارس.

" وعن بلاد فارس يقول ملكها (داريوس) مفتخرا (ان الملك الذى أمسك به والذى يمتد من الصغد الى كوش. ومن الهند الى ساردس منحنيه آهورا مزدا كبير الآلهه).

وعلى يد الاسكندر استحالت تلك الامبراطورية (الاكامينيه) التى اسسها كورش الي اطلال. وكانت أول مملكة حقيقية في

بلاد فارس كلها. وماكان الاسكندر وحده هو السبب بل كان هناك عوامل اخرى مثل سبايا اليهود الذين جاؤا من القدس وبابل وكذلك الأمراض وأوبئة الحروب الوافدة.

ولقد وهب ذلك الشعب إلى شعوب الاغريق والرومان مايستحقه من هبات الشرق وفلسفاته.. كما اعطو الى العرب الفاتحين بعد الاسلام صورا زاهرة لآمبراطورية كانت قوية ومنظمة.. ازدهرت فيها فنون الحرب والسلم على السواء وكانت حياتها الباذخه أول أسباب الانهيار للشجاعة والرجولة. زد على ذلك الأثر الذى سرى فيما بعد الى الحضارات اللاحقة.

ولقد خلد الرحالة الانجليزى (تومس هربرت) تلك الآثار الفارسية شعرا ونثرا وعندما قال (هنا ولد سحر الفن أول ماولد. وهنا عاش النمرود مدة من الزمن. وهنا ولد كورش اعظم امراء الوثنيين. وهنا اشبع المقدوني الكبير نهمه وحبه. وهنا سيّج ذلك الامبراطور حملاته لاقتناص الوحوش المفترسة. وهنا تغنت الكاهنات الأوائل عن سفر المجوس الى بيت لحم وسَفَر اليهود الى اعماق الروح الفارسية القديمه).

ويقول الاستاذ (كورج كمرون) من جامعة شيكاغوا عما وجده من اكتشافات (لقد وجد ذلك البحاثه الواحاً من الآجر باللغة العلاميه القديمه سجلت فيها أجور العمال الذين بنوا قصر داريوس). واذا كان مبدأ التجديد عند الشعوب لابد وأن يكون الامتداد الفعلي للقديم اذن فلنستمع الي الرحالة العربى (ابن بطوطه) حيث يقول:

(وكان السلطان أبو اسحاق قد طمح ذات مره الى بناء ايوان مثل ايوان كسرى. وكان أهل كل صناعة وحرفه يباهون بها من عداهم. فأنتهوا بأنفسهم الى المباهات فيا بينهم بأن صنعوا القفاف لنقل التراب من الجلد. وكسوها بالحر ير المزركش. وفعلوا ذلك في برادع الدواب. وصنع بعضهم الفؤوس من الفضه وأوقدوا الشموع الكثيرة. وكانوا حين الحفر يلبسون اجل ثيابهم و يربطون فوط الحر ير على أوساطهم. والسلطان يشاهد افعالهم على منظرة مقابلة).

بلاد الرومان بالشرق :

كما يصورها الاستاذ في جامعة هارفرد (جلان فيل داوني) تصو يرا لطيفا عندما يتكلم عن مدينة انطاكيا، حيث يقول:

١) ليس من الصعب أن ندرك أن دراسات افلاطون وأرسطوا للثقافات المعاصره قد ادت بهم الى وقف جانب من افضل كتاباتها على تحليل المدينه المثلى ومجتمعاتها. ومدينة انطاكيا مثالا فر يدا للمدينه اليونانية والرومانية. اذ انها تظهر تفاعلات العناصر المختلفة لتلك المجتمعات في تلك العصور.

٢) فقد كانت هي نفسها اروع مدن الشرق اليوناني. دعاها المؤرخ (اميانوس) بتاج الشرق الجميل. فلم يكن يضاهيها في الشرق من المدن الا الاسكندر ية والقسطنطينية. اما مدينة (أثينا) فأنها وأن كانت رائعة في جميع العصور إلا أن مراكز الحضارة في بلاد الشرق قد فاقتها حجما واتساعا وعظمة.

٣) وكان الرواد لايقصدون انطاكيا من أجل الألعاب الرياضية فقط. وأنما للاستمتاع برؤية الأبنية الفخمة والمناظر الطبيعية الخلابة. وكذلك ماكانت تشتهر به انطاكيا من فنون البذخ وبضائع الترف والزينه كالعطور والتوابل والأقمشة والحلى والأحذية الجلدية وكتب الأدب.

٤) وكان الناس في الأزمنة الغابره ينظرون الى التاريخ وكأنه (تاريخ مُدُن) وكانت المنافسات السياسية والتجارية والثقافية تقوم بين المدن تماما كما هو الحال مابين الشعوب والأمم.

٥) وكان الشارع الرئيسي للمدينة مكشوفا ولكنه يعج بكل أنواع الحياة:

أ) كالمسافرين على ظهور الخيل.

ب) وعربات النقل التي تجرها البغال.

جـ) وحمير محملة بجميع الأحمال الثقيلة والخفيفة.

د) ويقودها راكبون مزودون بالعصي ووسائل القيادة.

هـ) وعربات فخمه من ذوات العجلتين يمشي الى جوارها عبيد حفاة.

و) وحمالين من مختلف الأجناس يحملون جميع أنواع البضائع والأحمال.

٦) وللشارع أروقه مسقوفه على الجانبين يستظل بها الماشون والحمالون والمزارعون الذين بواسطهم تنقل الى المدينة اغلب أنواع الأطعمة والامتعة والأرزاق. وكانت

السلطات البلدية ترغم الناس على نقل النفايات الى خارج المدينة في طريق عودتهم منها. وكان الاطفال يمشون الى المدارس برفق عبيد حفاة يحملون لهم لوحات كتاباتهم المصنوعة من مادة الشمع والمربوطة بأربطة من الجلد. أما سيدات المجتمع فيتجولن على عربات خشبية مطلية بالألوان الزاهية الجذابه. وكان لعدد كبير من الدارات الفخمه خدام من الزنوج يلبسون الشارات المنمقه. واغلبهم ينادى راكضا أمام الجياد لفسح المجال لعربات الساده من عظماء القوم وكبرائهم. وكان العامة من النساء والاطفال يملئون جرارهم الفخارية الطويلة من النافورات العامة عند زوايا الشارع. يحملونها اما على اكتافهم وأما على ظهورهم وماكانت حولهم اى مزاحمات أو مشاجرات. بل كانت الأسواق اليونانية والرومانية (آقورا) Agora وأسواق للأغذية والاطعمة (ماسليم) Macellum تمثل رقع التجمع وقلب الحياة في المدينة.

٧) ونظرا لهذه الظواهر الاجتماعية فقد ظهرت مفارقات كبيره بين منتهى العوز ومنتهى الثراء وكانوا يعتقدون بأن من ولد من أصل وضيع أو من أبوين من الرقيق لايصلح للعلم أو للتعليم. ورغم هذا فأغلب السكان قد تعلموا العلم اما لاغراض تجارية واما لاغراض حرفية وذلك عن طريق الخدمة في الحكومة. فلم يتمتع الشباب الذى يرغب الالتحاق بالمهن الفنية كالطب والهندسة بتسهيلات فورية كما كان يتمتع بها طلاب

القانون والبلاغة. فمن أجل هذا قسمت العلوم الى قسمين (علوم نظرية وعلوم عملية). والسيد المرموق هو من كانت علومه (نظرية عامة). اما من هم دونه علما فكانوا يمتهنون العلوم الفنية والعلمية.

٨) وعلى الرغم من كل هذه الأحوال فقد ظهرت امكانات الطب المحدودة على ماهي عليه في أثينا وروما. وظهرت الاجراءات الصحية البدائية على شكل نظافة عامه. وكان أغلب الشباب يموتون اما من الاصابات المعدية الحادة (وبالاخص الجدري والالتهابات الرئوية واما من أمراض الفساد السارية). اما الفتيات فكانت الزائدة الدودية والولادات العسرة امرا مألوفا عندهن. وكانت أمراض الفساد السارية تأتيهن عن طريق نسوة مشبوهات ووسيطات عاطلات يتخذن من هذه المهن الوضعية وسائل للعيش والحياة.

بلاد الفراعنة :

تقول (اليزبث ريفشتال) في مركز الابحاث الامريكي المصري المشترك ماموجزه:—

(بلدة طيبه) بلدة ريفية يخيم عليها الركود وتحف بها الحقول والقرى. واسمها اطلقه عليها اليونانيون. ربما لآنها تشبه بلدة (ثيبه) اليونانية في مقاطعة (بيوتيا).

أما شعب مصر فيسميها (واسط) اي الصولجان وهو اسم المقاطعة التي نشأت بها هذا البلده زارها الرحاله (سترابون) قبل

المسيح عليه السلام وكان فيها حامية رومانية اتخذت من خرائب المعبد الجنوبي مركزا لها.

وبلدة (منفيس) مدينة استنزفت موارد البلاد بأسرها. كان يعيش فيها عدد ضخم من الناس على كرم الملوك وإحسانهم. وكان القصر الملكي يزخر بالندماء والحريم والضيوف والخدم والعبيد والاتباع. اضافة الى الكهنة والسدنة وخدام معاهد الاهرام ومدافن الملوك وعمال القرى والدساكر... الخ.

وكانت الطرق البرية الرئيسية المؤدية الى (سيناء والشام) عبر الدلتا قليلة. وماكان موجودا منها في ذلك الوقت فهو صعب المسالك. اما الساحل الشمالي فقد كان غنيا بالمواقع الصالحة لرسوا السفن تحميه البحيرات والمستنقعات وكثبان الرمال.

وأهم الطرق الرئيسية التي قلنا أنها تتجه نحو الشرق كان احدها معبر (التانيتك) Tanitic وهو فرع من فروع النيل تقلص مع الزمن حتى اصبح اليوم جدولا تفيض مياهه في مستنقعات بحيرة القنطره،وبحيرة المنزلة. ومثله نهر آخر يمر عبر تلك المنطقة وهو ببيليوساك Biliosak أما الطريق الثالث فكان يمر عبر وادى (توميلات) حيث يتفرع الى فرعين. فرع الى الشمال يلتقى بطريق القنطرة. وآخر يسير الى الجنوب بمحاذاة البحيرات المره حتى خليج السويس. وكان هو المنفذ البحرى الى مناجم الفيروز والى موانئ البخور على البحر الأحمر.

وبلدة منفس كانت اقل غناً وثروة من بلدة طيبه ولكنها مجمع الجيوش والاساطيل ومقصد القادة والمبعوثين. ومحط المراكب

التجارية وبضائع البلدان الأجنبية. منها تحمل الصادرات الى الشرق. وفيها انشأت عنابر ومخازن. وقد ذكر استرابون أنه كان يقطنها خليط من البشر ذو اجناس مختلفة.

أما عن طيبه فيقال عن الغبار والذباب انها كانت على وفرة وغزارة. يضاف اليها الروائح المختلفة التي تطغى على شذى الزهور والبخور. فالغبار كان يأتي من عمليات الهدم والبناء أما الذباب فكان البلاء الذى يعذب بلاد مصر من زمن يعود الى ماقبل موسى عليه السلام.

ولقد اشارت بعض النقوش في المعابد الفرعونية الى تلك الزوجة وهي تحمل (منشة) للذباب فوق رأس الملك وأن اختلفت في شكلها عما يباع على السواح في قرية الكرنك هذه الأيام.

وكانت بلدة طيبه مبتلاة ايضا بحشرات الهوام. فقد كان هناك البرغوث والبعوض والقمل والعقارب والافاعي. وكان أيضا الجراد يأتي على الحقول مابين فترة وأخرى. وكانت الجرذان والفأران تعشش في المخازن والمستودعات.

وكانت روائح الغبار تختلط بروائح السماد والفحم المحروق. وروائح السمك واللحم المجفف فوق السطوح. وكان المكان تكتنفه غمامه غير كثيفه من بخار النشادر. وعلى الرغم من هذا فأن بيوت الأغنياء كانت مجهزة بالحمامات وبيوت الراحه. إلا أنه لم يكن هناك نظام صحي بالمعنى المفهوم حاليا. فالمياه القذرة كانت تصرف الى حفر في الأرض. والنفايات كانت تلقى هنا وهناك. تنقض عليها الطيور وتعبث بها الكلاب والقطط والثعالب. وماتبقى منها تطهره اشعة الشمس الطبيعيه.

وكانت زرائب المواشي وورش الصناعة تحاذى دور الأغنياء والموسرين. وكانت الحيوانات تربط في الباحات الصغيرة للاكواخ. وكانت بيوت الفقراء لا تعرف وسائل الراحه أو التهويه. وكانت الأسواق والأكشاك المصنوعة من سعف النخيل جاثمه بمحاذاة أسواق الهياكل والقصور. وكانت الشوارع تتردد فيها أصوات الحمالين والأولاد المكارين على الحمير. ترددها منغمة مع أصوات العمال والبنائيين وهم ينشدون الأهازيج والأغاني لرفع الأحجار الضخمة إلى المعابد. وكان العبيد يصنعون الطوب من طينة نهر النيل وهم يثرثرون بلغاتهم الأجنبية وأغانيهم الغربية بما يذهل السامع والمشاهد لقرع السياط. و يستمر الحال على هذه الوتيره يوميا من الفجر حتى الغسق ولايهدأ الضجيج ولا تنقطع الأصوات [أنظر الصورة رقم (١)].

وكان الملوك يظهرون لشعوبهم بألبسة مزركشة بالحواشي والأهداب الجميلة ذات الثنايا التي تشبه أثواب الحكام في الشرق مزينة بالحلي والمجوهرات من كل الأصناف. أما النسوة فكانت من حولهم يلبسون ادوات الزينة كالاقراط في الآذان والزنانير على الأوساط أو الجامات المستعاره من الشعر تكسوا هاماتهن تتدلى منها ظفائر وجدائل وخصل مجعده أو معقوصه بشمع العسل.

وخلاصة القول (كما تقول اليزابيث) كان أهل طيبه كسائر المصريين طيبين كدوحين ولكن لاشئ وسط بين الحاجة والغنى. وكانوا يتمسكون بالأساطير الموروثه والمتراكمه. وكانت ضروب السحر والشعوذة ترتكز على ثلاثة اسس دينية:—

١) ايمان غامض يحفظه (آله عظيم).

٢) ايمان بنظام مقدس منذ بدء الخليقة.

٣) وايمان بالحياة بعد الموت.

وقد أشارت اوراق البردي بوجود أمراض شائعة مثل الجدري والبلهارسيا والأمراض الصدرية. كما اشارت الى وجود موجات كاسحه من الأوبئة المدمره واقربها الى الضن وباء الطاعون.

واقع شبه الجزيرة العربية

أولاً ــ فأما عن واقع محنة الحضارة (آنذاك) وكيف عادت الى شبه جزيرة العرب بعد أن خرجت منها فيعتمد على حقائق ثلاثة:ــ

تحليل الروايات والأخبار.. قد استحال الى شيئ آخر (جديد). وكان المؤرخ يأخذ النظريات (مقربة) الى الحقيقة وليست هى الحقيقة... وكذلك مبدأ (البحث عن الحقائق) فقد تطور هو الآخر.. فبعد أن كان يعتمد على المضمون (النظرى) البسيط تحول الى (مركب) لايكون مقنعا الا عندما تتوفر فيه (جوانب محددة)... ومظاهر معينة:ــ

أ ــ الشكل الظاهرى.
ب ــ التكوين الكلي.
جـ ــ المضمون الداخلي.
د ــ الغرض والسبب.

ب ــ الأمر الذى أدى الى (الغموض) أو التشويه المؤكد (عند النقل أو عند رؤاية الخبر) من مكان الى آخر.. أو من انسان الى آخر.

جـ ــ وهذا بدوره (أرغم) المؤرخين والباحثين على أن يسلكو مسالك متعددة... بدورها أدت الى اخطاء متكرره

(بالنسبة لشبه الجزيرة العربية) عامه... والعصر الجاهلى خاصة:ـ

١ ـ فاما ان يقفزوا مع التاريخ (قفزات زمنية) تضيع معها حقائق مجهولة (كانت في يوم من الأيام معلومه).
٢ ـ واما أن يصنّفوا (طبقات المجتمعات) تصنيفا لايتفق والواقع الفعلى... وانما يتفق مع تصوراتهم وتخيلاتهم هم (مبنية على تلك الروايات الغامضة) أو مستمدة من خيالهم المشوش المبنى على تلك التصورات المشوهه.
٣ ـ وهذا الخلل (المقصود أو غير المقصود) لابد وأن يؤدى حتماً الى (ضياع المصادر المؤثرة) ومن ثم الى ضياع (الآثار التى ترتبت فيما بعد).

أقول هذا وفي خاطري (صورة) عن المجتمع الجاهلي... تختلف تمام الاختلاف عن مجتمعاتنا في الوقت الحاضر... ومادام الأمر كذلك... اذن فمن البديهي (بل ومن المؤكد) أن نخطئ في المقارنة... ورجائى من كل عادل ومنصف الا يرمي بالاتهامات التاريخية والمواقف العلمية جُزافا وبدون معايير أو مقاييس تتناسب مع الواقع بدون روية وتبصر.

أ ـ فعُنْف الأحوال والظروف الجوية في الصحراء... قد وزعت المجتمع (الواقعي) الى مستويات متعددة... صُنفت (اجتماعيا وتجاريا).

ب ــ واتساع الرقعة... ووجود (التفريق العرقي) قد أسهم في تصنيف تلك الأجواء (والبيئة) الى مجتمعين حقيقيين (مجتمع المدينة ومجتمع الصحراء).

جـ ــ وكان لزيادة الروابط التجارية وتعدد المستويات الاجتماعية أثر فعال في زيادة عدد الغرباء والدخلاء (من مختلف الحرف والمهن والأذواق).

د ــ منها ماهو (سرى) ومنها ماهو (جهرى)... تارة يدخل باسم التجارة وتارة باسم التجديد... وطورا باسم المعتقدات وطورا باسم العطاره والشفاء وهكذا.

هـ ــ وبدون شك... بل من المؤكد.. انه قد تولدت من تلك الأمزجة.. أخلاط جديدة ذات أثر فعال في المجتمع (لاهي بالأولى ولاهي بالثانية). وانما هي وسط بين الأثنين.

و ــ ومن البديهي أن تؤثر تلك الأخلاط والأمزجة الجديدة على العادات والتقاليد.. وخصوصا عند ابن الصحراء. فهو عماد المجتمع العربي في الجاهلية.وسلطان القبيله قد بقى هو الدستور.ولكن ابن المدينة وسلامتها بقى محصورا في هذا النطاق.فلا وجود للمدينة بدون وجود ابن الصحراء.. ولاحياة لابن الصحراء بدون نشاط ابن المدينة وهكذا.

ثانيا ــ وكانت (صفة الشخصية العربية) هي الغالبة دائما وان ازداد عدد الغرباء والدخلاء فن هذه النقطة دخل المؤرخون والمحللون.. ومن هذه النقطة بدأت خلافاتهم ايضا.

وصفة الشخصية العربية هي (نوعية) كما قلنا.. لا تتحكم فيها البيئة والمحيط فقط. ولا تتحكم فيها الوراثة (وأصول العرق فقط) Eugenic وانما هناك ماهو أعمق.. واعني به (مكامن الطاقة) في الفرد العربي Vital-Capacity وتحليلها المختصر استطيع ايضاحه بشكل مبسط جدا.. من أجل المفاهيم والمدارك وعدم الذهاب معها بعيدا الى الأعماق:—

١ — المراكز الحيوية في المخ (تركيبا وتكويناً)..... Vital-Centers

٢ — الآلات الحيوية في الجسم تكوينا وتركيباً .... Vital-Organs

٣ — ثم الدوافع والسلوك (الظاهر منها والخفي). Vivacity

وهي مكمن (الفراسه والعزيمه والتصميم). Volition

وعلى هذا الأساس:—

١ — بقى الآباء هم اشرف الآباء.
٢ — وبقي الامهات هن اكرم الامهات.
٣ — وهم جميعا (وحسب تلك المفاهيم) اجدر بان يكونوا خير الأمم والشعوب.

فلا عجب اذا ماتفرقت بهم الأحوال والمواقف والسلالات الى طوائف وقبائل وشعوب:

١ — منهم (الصرحاء عرقاً). وهم أبناء القبيلة ذاتها وذوى

الدم النقي. ومنهم بيوت الشرف.. وفيهم القيادة والرياسة والزعامة.

٢ ــ ومنهم (العبيد) رجالا ونساء.. اما من الأسر والسلب وأما من غير العرب. أو عن طريق الشراء والتجارة.. ومن عادة العربي أنه يكره أن تلد (الأمة) منه.. واذا حدث هذا (فيرفض الاعتراف بالوليد).

٣ ــ ومنهم الموالي (وهم وسط بين طبقات المجتمع). يتكون من العتقاء والخلعاء.. وأما من الأحرار الذين يطلبون الحلف والجوار ويسمونهم (الأحلاف). ولهم سنات وشروط يتعاملون بها مع بعضهم بعضا. ومجتمعات الصحراء كانت تتعامل مع المدينة حسب الواقع للرزق والمعاش. فقد كان واقعا اقتصاديا وتجاريا اكثر منه (اجتماعيا) ويتقيد بقيود أو بدستور العرف والتقاليد. فهناك اصحاب الأبل وارباب المخاض والنعم.. ومنهم يتكون الشكل العام (للثروة) والميزانية:

١ ثروة القبيلة كلها.

٢ ومهور النساء تدفع منها.

٣ وكذلك ديات الدماء.

٤ والرهونات والميسر وغيرها.

٥ وقد وضعوا لكل قبيلة (ميسم) خاص يرمز لها ويحمل اشارتها.

وفئات الصعاليك والخلعاء غالبا مايطلق عليهم القاب مختلفة اهمها (اولئك الذين يجرون حبلا وليس لهم فيه بعيرا).

واني لأستحي لنفسي ان ارى امرّ بحبل وليس فيه بعيرا!

ثالثا وتوجد اشارات (برية وبحرية) متفق عليها بين (الذاده المحرمين. والوسطاء والأدلاء. والحماة والخفراء.. للقوافل واللطائم والبريد. ويسمح لهم بلباس السلاح دائما نظير جُعل متعارف عليه).
وكانوا يطلقون اسم (الحاطوم والشهباء) على سنوات القحط والجدب.. وعلى السنوات التى تذهب بالمال والحلال (بالمكاليح أو المجاليح).. أما عن الطاعون أو الوباء الكاسح فيطلقون عليه اسم (رماح الجن).
وكان (السقام) اسما لحاجات كثيره ولا تعني المرض وحده:
امسى سقام خلاءً لاانيس به
الا السباع ومرّ الريح والغَرَف
اما عن (العدوى) فنأخذها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم... لاعدوى ولاهامه ولاصفر.

رابعا وكانت هناك (فئات مشتركة)... تخدم المدينة كما تخدم الصحراء.. اما شهرة واما معاشاً... مثل الشاعر والكاهن والعراف والطبيب والحكيم والعطار الخ.

— فالشعر (سلاح فتاك) مافي ذلك شك... قد يشعل

فتيل الحرب وقد يطفئه في أى زمن وفي أى مكان.

- الفارق الوحيد فيا بينهما... ان ابن الصحراء ينظر (نظرة واقعية) الى شئونه الخاصة... مستمدة من الحرية الطبيعية التى يمارسها بلا ضغط أو اكراه.
- وعليه... فلا تعجب ايها القارئ الكريم... اذا ماسمعت أو قرأت عن تلك الحرية الطبيعية وما تتطلبه من التزامات:—
- فابن الصحراء في (قرارة نفسه) هو السيد دائما... ولا ولاء (أو سيادة) يعطيها الا عن قناعة واختيار.
- (بما في ذلك الحِرَف الاجتماعية) وجميع ألوان المهن واشكالها... فهو يترفع عنها (لاكرها لها)... وانما (لشعوره الداخلي) بانه هو السيد دائما وان على الآخرين أن يخدموه... وتلك طبيعة موروثة.
- فهو يترفع عنها (أو قد يحتقرها) لا لأنه يعتبرها (في دخيلة نفسه) نوعا من أنواع الاذلال فحسب... وانما لانه وجدها هكذا.
- فلا تعجب أيها القارئ الكريم (اذا مارأيته يحتقرها) ولايدين لها بالأذلال. فهذا الأمر ليس مقصورا على فئات.فالشيئ نفسه تجده عند (ادنى المستويات) فقرا وحرمانا... وذاك كان دستور الصحراء كما قلنا.

صفات عجيبة وغريبة... بل هي فريدة من نوعها (في المجتمع العربي القديم). خلقوا معها... وولدت معهم... نمت

وترعرعت في نفوسهم... وعقولهم... ثم انعكست على اجسامهم وابدانهم... حافظوا عليها صغاراً... وشقوا في امرها كباراً... ولكنها خَلقت فيهم (عزة النفس... والانفة والكرامة) وحب كل شيئ عظيم... واحتقار مادون ذلك. فتلك خلقتهم التى جُبلوا عليها... وتلك صبغتهم التى صبغهم بها الخالق ولاعيب... وهى نفسها التى ادت (بالتالي) الى الويلات الاجتماعية والافات العامه أو الفردية:—

١ — علل عضويه ... وبلبال نفس... وآفات عقليه.

٢ — لا تظهر الى السطح... ولايشكو منها (مهما بلغت في قسوتها) الا عندما تتعرض (لنقطة ضعف) اجتماعية في نفسه او بدنه أو ذهنه..ا أومؤثرات شاملة للفرد وأن كان اغلبها اجتماعي أو اقتصادي. أو جغرافي كما سوف نرى.

المدخل الجغرافي للبيئة العربية القديمة

ECOLOGY

انه مدخل كبير وعظيم يحتوى على وجبات دسمه من المعلقات العربية العجيبه ومن أقوال الحكماء والمفكرين قالوها في كل باب من أبواب المجتمع.. قد لا تمثل العادات والتقاليد والأخلاق وحدها وانما تمثلها مع كل ضرب من ضروب البيئة ومع كل فن من فنون الحياة سواء في المدينة أو في الصحراء. ولسوف يجد القارئ بغيته في هذه الأوراق والسطور سواء من الأمثلة الشعرية أو النثرية ولسوف يجدها أقرب ماتكون الى مواقف العزة والشرف والى مواقف تشرف صانعيها وفاعليها. ولسوف يجد القارئ من كل هذا أن أمة العرب تتصف بصفات غريبة وعجيبة. فبقدر حبها لكل (جديد وتجديد) سيجدها مولعة ومشغوفة بالقديم وبكل شيء قديم. وتلك صفات قد لانجدها في أى أمة من أمم الأرض وشعوبها.

تصور معي أيها القارئ تلك المواقف والأحداث.. تصورها في المعلقات والروايات والأسفار. وتصورها في الحكايات والأساطير والأشعار.. ثم دقق النظر في نفسك وعقلك واحاسيسك وحدد في أى موقف انت.. فلسوف تجد فيها كل شئون حياتهم وكل الأصناف التي يتعاملون بها من فنون الحياة.. فلا شيء يعقد الأمم والشعوب أكثر من الشكوك والظنون والاختلاف في

وجهات النظر. وان أهم شيء يثير الانتباه في مواضيع الطب والصحة والصيدله والعطاره في عصور ماقبل الاسلام هو مايجرى حاليا من نقاش حولها ومن جدل حول تلك الفترة الغامضة.. فليس من السهل أن تصاب أمة بداء أهلها أكثر من جهلهم بالماضي. وليس أصعب من أن تصاب أمة بالنكران أكثر مما تجده من المقلدين من أهلها. فإن ثمرات الانتاج العلمي والفكرى لابد وأن تسير جنبا الى جنب مع النضج الأدبي والاجتماعي. (الضخم مع الضخم والهزيل مع الهزيل) واعتقد جازما بأن انتاج تلك الفترة من الحياة العربية لم تكن هزيلة بأى حال من الأحوال.

يقول الاستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن عن بلاد العرب في تلك الفترة:—

١) يكاد يكون تاريخ العرب القديم مجهولا أو غامضا لسببين:
أ) عدم وجود الوحدة السياسية.
ب) وعدم معرفتهم بالكتابة.
٢) الأمر الذى أدى الى التواتر الخاطئ أو النقل الخاطئ.

وكان المؤرخ الاغريقي (هيرودوت) يعرف العرب وبلاد العرب معرفة تامه.. ومثله (زينوفون) تلميذ سقراط.

أما المؤرخ المعاصر (درو Drew)أستاذ الدراسات القديمة بجامعة القاهرة فيذكر عنها معلومات استمدها من المراجع اللاتينية واليونانية يجملها بإيجاز:—

١) المؤرخ (أميانس) يقول أن العرب هم سكان الخيام أو أهل الوبر.

٢) وأن المؤرخين اليونان ذكروا لفظ (ساراكينس) على أنه يدل على شعوب سوريا وفلسطين وسيناء ثم توسعوا في استعماله بمرور الوقت حتى شمل كل الشرقيين.

٣) أما لفظ (تيتس Taits) فقد اطلقوه على جميع العرب.. اطلقه عليهم السريان من أهل الرقه (Edessa) وأهل بابل كذلك.

ويضيف الدكتور حسن ابراهيم حسن الى قوله السابق أمورا أخرى، حيث يقول:

وقد تزول الدهشة التي يثيرها الاعتقاد السائد بأن بلاد العرب صحراء جرداء لازرع فيها ولاماء. فإذا بحثنا في أرض بلاد العرب من الناحية الطبيعية فلا نجدها خلوا من الصحارى والسهوب. وإنما تحتوي على أقاليم غاية في الخصب وشهرتها في الزراعة منذ آلاف السنين.. تزخر بالمدن والقرى وتزخر بالريف الآهل بالسكان.

أما عن الصحارى والوديان فتمتاز بمراعيها الواسعة وكانت في الأزمان الغابرة (كما يقول التاريخ) أحسن حالاً مما هي عليه اليوم.

صحيح أن بلاد العرب كثيرة الجبال والسهوب والوديان. ولكن اختلاف الوانها يشير الى اختلاف في الحرارة والصحارى الرملية المترامية الأطراف. هيأتها السيول والأمطار وحولتها الى

تربة خصبة أغلبها صالح للإقامة والاستقرار.

و يظن البعض بأن المعيشة بالصحارى غير ممكنه وهذا عكس ماكان عليه الحال.. فأن اجواءها كانت ملائمة لسكني اقوام أقوياء أشداء يتحملون المتاعب والمصائب والمشاق التى فرضتها عليهم طبيعة الأرض وخشونة الحياة في تلك الأيام.. ولكنها اكسبتهم بالمقابل صبغة عظيمة من حب المغامرة والنشاط والخفه وعلى وجه الخصوص أولئك (البدو) الذين اعتادوا حياة الصحارى وحياة الريف على السواء وكان لهم الفضل الأول في فنون الحرب والقتال وفي فنون تربية الابل والخيل والانعام.

فمثلا يذكر المؤرخون عن بلاد (الحيره) ان لاهلها الأثر الكبير في حضارات شبه الجزيرة العربية القديمة.. فقد كانوا الى جانب استقرارهم يجوبون ارجاء الجزيرة العربية بالتجارة.. يشتغلون فيها و يعلمون القراءة والكتابة.. كما يعلمون تسجيل السجلات وشئون المال حتى اصبحوا واسطة مشهورة في نشر المعارف بين أقطار تلك البلاد..ولا ننسى انهم ساعدوا في نشر النصرانية بعد تركهم لعبادة الاوثان.

و يذكر الطبرى عن أسباب بناء (قصر الخورنق) فيها ان بهران ابن سابور الفارسي لم يعش له اولاد.. فسأل عن منزل صحي مرئ وصحيح يبرئ من الأدواء والأسقام فدلّوه على ظاهرة الحيرة وأمر النعمان بتربية ابنه و بأخراجه الى بوادى العرب.

أما عن مكة فيقول الدكتور حسن ابراهيم حسن (هي مكة او بكه بابلية اطلقتها عليها العماليق ومعناها بيت العباده) وكان في

بلاد العرب دين واحد وعقيدة مشتركة. مركزها مكة. وهي كما يقول الجغرافيون وادى ضيق طويل ومجدب. يبعد عن ساحل جده بنحو خمسة وأربعين ميلا.

أما عن أنواع الحكم في بلاد العرب فيقول (لم يكن هناك نوع من الحكومات المعروفة كما هي الآن. وليس لهم قضاء في الداخل يحتكمون إليه أو جيش منضم لدرئ الأخطار الخارجية). وإنما كان هناك قبيلة حاكمه. أو عشيرة مسيطره. أو كتلة تقاتل. أو هيئة تفاضل. وكانت رموز القيادة والزعامة عندهم لا تتعدى سمات معروفة ومألوفه يقول عنها الاستاذ (أرنولد):—

١) اكبرهم سناً.

٢) واكثرهم مالا.

٣) واعظمهم نفوذا.

٤) واجدرهم شخصية واحتراما.

وقد كانت بلاد العرب صعبة الطباع قاسية الظروف والأحوال الا على أهل مكة. فقد كانت لهم امتيازات معروفة ومألوفة:—

١) فهم حماة الكعبة التي يقدسها العرب.

٢) وهم جوالة البلاد طولا وعرضا بلا خوف ولا حيرة.

٣) وهم أعلم من غيرهم بخفايا الصحراء وأسرار الأمن والخوف.

٤)	وهم أقدر من غيرهم على تحمل القيض وعناء السفر.

٥)	ولم يكن حب ابناء النبلاء والأشراف منهم الى فنون الفروسية بأقل من حبهم للتجارة في البر والبحر.

٦)	وقد ساعدتهم تلك الامتيازات على عدم تعرضهم للمنازعات والحروب مما ساعدهم على زيادة الاثراء وزيادة القوة وعلو الشأن في القيادة والقضاء.

٧)	وكان القرشيون في مواقفهم تلك بمثابة الوسطاء مابين اقاليم البحر المتوسط في الشمال وبين اقاليم اليمن والحبشة في الجنوب (انظر الخريطة).

٨)	كما ساعدهم اختلاطهم بشعوب وحضارات مختلفة منها ماهو مجاور ومنها ماهو غير مجاور على معرفة أحوال الأمم في السياسة والثقافة والأدب وعلم الاجتماع. فأرتفعت بهم المدارك والعقول حتى وصلت بهم الى مستوى فكرى لم يصل اليه البدوى في الصحراء والواحات والريف.

٩)	وكانوا يعرفون القراءة والكتابة والحساب كما ظهر ذلك واضحا وبينا أثناء الفتوحات الاسلامية التي جاءت بعد نزول الرسالة المحمدية.

وقد حدد الدكتور حسن ابراهيم حسن جوانب طيبة لذلك المجتمع حيث يقول:ـــ

١)	انهم يتكلمون لغة واحدة.

٢) وانهم يدينون بدين واحد. (وأن كان الوثنية) إلا أنهم الى ديانات التوحيد أقرب.

٣) كما أنهم ينتسبون الى جنس واحد.

٤) وكانوا الى حد ما (في شبه عزلة سياسية) فرضتها عليهم الظروف الجغرافية وحرية الطبيعة. فأنت لاتجد مثل هذه الأوصاف إلا في اشعارهم أو في آدابهم أو في رواياتهم وفي اخلاقهم وسلوكهم. وكان للمرأة عندهم قسط وافر من الحرية الاجتماعية تستشار في مهام حيوية كثيرة وتشارك الرجل في أكثر اعماله. وقد بلغت العلاقات الزوجية والاسرية من الرقى مبلغا لانجده في الأقطار الأخرى. وكان من أهم عاداتهم المستقبحة (وأد البنات) مخافة الفقر أو العار وهي عادة لم تكن شائعة في كل بلاد العرب بل كانت في بعض الطبقات المحدوده.

ويذكر الهمداني عن (جغرافية بلاد العرب) قوله... ان (هرمس الحكيم) قد قسم الأرض كلها الى عدة بلاد وأقطار:—

أولها : بلاد الهند.

وثانيها: الحجاز ونجد واليمن.

وثالثها: أرض مصـــر.

ورابعها: أرض بابل.

وخامسها: بلاد الروم.

وسادسها: بلاد ياجوج.

وسابعها: أرض الصيـــن.

و يـذكـر (ستـرابـون) عن الامبراطور الروماني أغسطين.. أنه عـهد الى القائد (اشيليوس غالوس) بأن يغزو بلاد العرب.. فجاء بحـملة ضخمة.. تهاوت أمام مشقة اجوائها وخشونة طبعها.. فعلي الـرغـم مـن فـتـك الآلام وقـلـة المـاء والـغذاء... وكثرة والعطش والمنـاخ اللاهـب... فـقـد استـطـاع الـوصـول الى نجران ثم الى مأرب... ولكنه تراجع بسرعة خوفا من الهلاك المحقق.

أمـا (هيـرودوتـس) مـن قـبـلـه فـقـد ذكـر عـن (هـينالوس) الاغر يـقي... أنه بدأ ينافس الفينيقيين في رحلاتهم البحر ية... وقـد سـمـع بخيرات الشرق من التوابل والكندر والبخور.. فنظم أول رحلة بحر ية الى البحر (الأرتيرى) ومضيق باب المندب.

ويحـكـى أن (يـز يـد بـن عـبد المدان)... قدم على ابن جفنه زائـرا ومـعـه عمرو بن معد يكرب ومكشوح المرادى... فسأل ابن جـفـنـه جـلـسـائـه مـتـعـجبا.... الا تحدثونني عن هذه الر ياح ولم سميت بأسمائها؟.

١) الجنوب.

٢) الشمال.

٣) الدبور.

٤) الصبا.

٥) والنكباء؟!.

فقال القوم.. انها اسماء وجدنا عليها العرب ولانعلم غير هذا.. فضحك يزيد بن عبد المدان وقال لآبن جفنه مازحا (ياخير الفتيان... ماكنت أحسب أن هذا يسقط علمه من هؤلاء وهم أهل وبر... يعني أصحاب البادية الحره والصحراء المفتوحة..فان في العرب من تضرب ابياتها في القبلة مطلع الشمس لتدفئهم في الشتاء... وتزول عنهم في الصيف... فما هب من الريح عن يمين البيت فتلك هي الجنوب... وماهب عن يساره فهي الشمال... وماهبت من أمامه فهي الصبا... وماهب من خلفه فهو الدبور) فقال ابن جفنه لله درك ماأجزلك يابن عبد المدان.. (فوالله ان هذا لهو العلم بعينه).

اذن فقد تحقق لنا ماكنا ندور حوله من (أحتياطات وتحفظات).. أي احتياطات حول (الشخصية العربية في الجاهلية)... وتحفظات لابد من أن نذكرها صراحة لأنّ الاغلب من المؤرخين والمحللين ربما تجاهلوها عفواً وليس قصداً... واليك الأسباب:—

١) انها منطقة صحراوية جبلية.

٢) عرفت الاغوار المنخفضة ذات الحرارة.

٣) والسهول والجبال العالية ذات البرودة.

٤) وفيها مناطق رملية مترامية الأطراف... كثيرة المجاهل والمخاوف..

٥) عُرفتْ بالجدب الذى تتعذر معه الحياة... حتى قد يضطر اهلها الى الهجرة احيانا.

٦) وعُرفت بالخصب الذى يغري الناس على الاستقرار والاقامة الطويلة..

٧) كما عُرفت بالمطر يُحتبس حتى تصبح البادية شحيحة غير صالحة للسكني.

٨) أو بالسيول تتدفق حتى تجرف امامها كل شيء من الأرض والحيوان..

من هذا التضاد الجغرافي... يقول الاستاذ (يوسف خلف) فوجدت (نفسيات متضادة)... مابين الصحراء وعاداتها... ومابين المدينة واصحابها... فيها من جانب الشر كثير.. ولكنها دائما الى الخير أقرب... وابن الصحراء مبالغ في الخير.. كما هو متطرف في العداوه... ولايخلو من الغدر اذا هم خدعوه... و يصفو و يعاهد على الوفاء الصادق اذا هم صدقوه.

وابن الصحراء يختلف عن ابن المدينة في طباعه وعاداته... أستمدها من الطبيعة دائماً. فهو يؤمن بتربية الانعام والتجارة والصيد... فهو يؤمن بها لكونها رزقه ومعاشه وحياته من جهة... و يؤمن بها وسائل الحياة بالصبر والشجاعة وقسوة الطباع من جهة أخرى... ليس هذا فقط بل يعتمد اعتماداً كليا على (قوة نفسه الذاتيه) وقوة بدنه معاً. أنظر الصورتين(٤ ــ ٥)من هذا الكتاب.

وكذلك الصور رقم (١٥ ــ ١٧)

والصور رقم (٢٠ ــ ٢١ ــ ٢٢)

و يقول الاستاذ العقاد رحمه الله... (ان قوة التفكير والتطور بوجه عام)... تقاس بالقدرة على فهم مايبتكره الاخرون... منضافا اليها القدرة على ابتكار الفَرْد... فالاغريق مثلاً... قد نقلوا قبل أن يُبدعوا... و يصدق هذا القول على الهند وفارس والصين) اذا فلا عيب ان يطرق المجتمع العربى نفس الطريق.. فالاعاجم قد سبقو العرب الى صناعة الكتابة والقراءة في الجاهلية... وكان شغل العرب الشاغل حينئذ هو القيادة والرياسة وحماية العادات الموروثة... وكانت حاجة الدخيل الى فهم اللغة وتعلمها أقرب الى المكاسب المستمدة من الداخل أو الخارج... لافي مجال التجارة والصناعات فحسب وإنما في مجال التعامل مع أهلها بوسائل أخرى (كالكتابة.. والتطبيب... والجاسوسية بأشكالها). فالمعروف عن القبيلة انها تفرض على ابنائها حياة أقرب ماتكون الى الحياة (العشائرية).. و(شظف في العيش مع صبر على المكاره)... على الضد من أحوال المدينة غير المفتوحة... والتى يسهل عليها ان تتحرر تدريجيا من قيود التراث والعادات والتقاليد الموروثة وتتجه الى المجتمع الخليط (كما رأينا ذلك في أحوال الأمم المجاورة أو المعاصرة) فقد كانت:—

١ ــ حياة اجتماعية ممتزجة واخلاطا.

٢ ــ وعقائد دينية متضاربة ذات ابعاد مختلفة.

٣ ــ وتبادل خيرات في معاملات التجارة والأخبار.

٤ ــ وتبادل خيرات في ميادين الحكمة والمعرفة.

٥ ــ وصناعات مكتسبة أو مهارات مقتبسة.. مثل ما (ينسب الى ابناء بولان بن عمرو بن الغوث انهم واضعوا الخط العربى).

٦ ــ اضافة الى ماظهر من فنون جديدة للسلم والحرب لابن الصحراء... فكان الكلدان والسريان... وكان اليونان والروم، .

وكذلك كان الموسيون واتباع عيسى.. قد واصلوا ربط كل ثقافاتهم ومعتقداتهم بل وجميع عاداتهم بتلك الحضارات... وكانوا يعيشون في شبه جزيرة العرب بثقافات جديدة ولكنها تحمل طابع التجارة.وعلى الأغلب جاؤ بها من الفرس والروم واليونان مثل علوم الفلك وصناعة الأدوية والسموم.

يقول الاستاذ العقاد رحمه الله عن هذا الموضوع (ماكانت شبه الجزيرة العربية يومئذ تعترف بشئ من السلطان الأجنبي بغير السيادة الأسمية.. أو الرقابة البعيدة التي كانت تتعرض لها الشئون الداخلية للممالك الأخرى)... ويقول أيضا (ان اشتغال العرب الطويل بالانعام والماشية والتجارة والأسفار.. قد باعد بينها وبين طب الكهانة والخرافات وقارب بينها وبين طب التجارب العملية التى وردت اليهم من الموسويين والمسيحيين وامثالهم من الجاليات). انظر الصور (١٣ ــ ١٤ ــ ٢٣ أ).

ويحكي عن المغيرة بن شعبه ان خرج مرة يتنزه في الصحراء... فلقى اعرابيا من بنى يثم الله بن ثعلبه... وكان لايعرف المغيرة... ولكن المغيرة فضل استدراجه الى شيء في نفسه... واستحسن ممازحته... فسأله:ــ

ــ من اين اقبلت يااعرابى؟.

— قال من السماوه.

— قال وكيف تركت الأرض؟.

— قال عريضه أريضه (أي زكية الأرض طيبه).

— قال وكيف كان المطر؟.

— قال عفيّ الاثر ... وملء الحفر.

— قال وممن أنت؟.

— قال من بكر بن وائل.

— قال كيف علمك بهم.

— قال ان جهلتهم (انا) لم اعرف غيرهم.

— قال فما تقول في بني شيبان؟.

— قال سادتنا (وسادة غيرنا).

— قال فما تقول فى بنى ذُهل؟.

— قال سادة (نَوْكىٰ)... وكلمة نوكى ... معناها (حمقىٰ).

— قال فما تقول في قيس بن ثعلبة ؟.

— قال ان جاورتهم سرقوك .. وان ائتمنتهم خانوك.

— قال فما تقول في تيْم الله بن ثعلبة؟.

ـ قال فا تقول في بنى بشر ؟.

ـ قال صريح تحسبه مولى (والصريح هو خالص النسب).

ـ قال فا تقول في بنى عِجْل؟.

ـ قال أحلاس الخيل (اى ملازمين ظهورها للقتال).

ـ قال فا تقول في بنى حنيفه ؟.

ـ قال يطعمون الطعام ... و يضربون الهام.

ـ قال فا تقول في عنزه ؟.

ـ قال لا تلتقى بهم الشفتان لؤما.

ـ قال هلا اخبرتني عن النساء؟.

ـ قال ... أربعْ (ربيع مُربع، وجميع يَجمع، وشيطان سَمعسع.. وغلّ لايخلع).

ـ قال فسّر.

ـ قال (اما الربيع فالذى اذا انعزلْتَ اليها سرتّك... واذا أقسمت عليها برتّك. أما الثانية... فالمرأة تتزوجها فتجمع نسبك الى نسبها... أما الثالثة... فالكالحه في وجهك اذا دخلْت... والمولوله في اثرك اذا خرجْت... واما الرابعة فبنتُ عمك السوداء القصيره... والورهاء الذميمه... التى

قد نشرت لك بطنها على بساط... ان طلقتها ضاع ولدك... وان امسكتها جدع انفك)... فانكفأ مغشياً عليه من المسره والضحك.

يقول عنهم مصطفى صادق الرافعي رحمه الله (ان حكمة العرب كانت راجعة الى وثاقة الحلوم... وشدة العقول... وفضل المنزلة في تجارب الأيام... فهي حكمة لاتجري على مذهب... ولاتدور على نحله... ولايبلغ بها الزمن مبلغ النوعين من القياس والاستنباط... كما كان ذلك في القضايا العلمية او على النحو الذى اخذت عليه شرائع الرومان وفلسفة اليونان... وانما كان اساس تلك الحكمة... هو رسوخ الاخلاق فيهم بحكم العادة والسجية... ونظر كل امرئ الى نفسه... بحكم الطبيعة وصراحتها).

ومن (امتزاج) الشعوب وتفاعلات (الأخبار) قديمها بجديدها... كان أمراً عاديا مابين (الصحراء الحرة المفتوحة)... والمدينة النشطة المتحركة... من خلاله تحركت جاليات... وسافرت قبائل... وانتقلت (عدوى العلم والمعرفة)... فكان من البديهي ان (يولد شيء جديد)... ومن المؤكد ان تتغير بعض العادات والخصال وان تتبدل ببعض الأعراف والموازين.. تحولت من الفردية الى الشمول... ومن الخاصة الى العامة... فافاد منها كل انسان حسب رغبته وتفكيره... واستفاد منها كل فرد حسب مهنته اسلوب رزقه ومعاشه... ولنضرب لذلك مثلا (توزيع فصول السنة)... كيف وصلت الى الصحراء فلكياً؟...وكيف توزعت على اقسامها جغرافياً؟.. ثم كيف تحولت وتبدلت بمرور الوقت

والزمن؟.. حتى انقلبت الى اشياء (محلية) تتبع نظاماً حيويا هو مزاج أو (خليط) من عادات اجتماعية (ومفاهيم) علمية... وفوائد اقتصادية... يشترك فيها الزارع وصاحب الأنعام... والفلكي وصاحب النجوم... والتاجر وصاحب القوافل.. والخبير وصاحب الشهرة... والطبيب وصاحب الشفاء (أنظر الصورة رقم ٤).

١ ـ ففصل الربيع مثلا .. كانو يصنفونه (حسب طبعه ومفعوله) على أنه (حار رطب) من اخلاطه الدم... وعدد ايامه اربعة وتسعون يوما.

٢ ـ وفصل الصيف ... كانوا يصفونه من تاثير طبعه على أنه حار (حار يابس)... من اخلاطه المره الصفراء... وعدد أيامه ثلاثة وتسعون يوما.

٣ ـ وفصل الخريف كان وصفه وطبعه (بارد يابس)... من اخلاطه المرّه السوداء... وعدد ايامه تسعة وثمانون يوما.

٤ ـ اما فصل الشتاء فطبعه (بارد رطب) من اخلاطه البلغم... وعدد ايامه تسعة وثمانون يوما.

انظر كيف ظهرت الصورة واضحة من هذا التوزيع (المحلي)... فلقد جمع في اصوله العلميه مابين (تنجيم بابل) وجغرافية الأقاليم. (وطب أبقراط).. ولكنه ينسب في النهاية الى (العرب في الجاهلية) وليس الى احد غيرهم. ولكن عدم التسجيل هو العيب .

يذكر المسعودى (أن العلماء في أواخر القرن الأول

للاسلام... كانوا يكتبون عن العرب في الجاهلية مايعيبونه عنهم من (النسب والشعر والخبر)... ولكنهم لايعدونه تأليفاً.. فقد ذكر عن كتب (ابى عمرو بن العلاء) مثلا... انه قد كتب عنهم (ماملأ بيتاً الى قريب من السقف) فلما تنسك أحرقها... بل كان منهم من كان يغسل ماكتبه من اخبارهم على الجلود... وقد تطرّف بعضهم فاوصى بان (تدفن) كتبه معه بعد موته.

يروى عن (الحارث بن حلزة اليكشري) أنه أنشد معلقته المشهورة بين يدي (عمرو بن هند) ملك الحيرة... وكان من عادته الايستمع الى شاعر الا من وراء سبعة حجب لِعلّةٍ في نفسه. وكان يكره من به (بَرَصْ)... وكان ينضح طريقه بالماء تطهيراً بعد ماينتهي... ولكنه مع أعجابه بتلك القصيدة وقائلها... فقد كرم الشاعر برفع الاستار والحجب... ولم ينضح الماء على موطئه.

من هذه الراوية نستخلص عدة (حِكَم علميه) واجتماعية... أوجزها في بضع كلمات:ــ

اولا فيها دلالات على (امراض النفس) التى لم تصبح واضحة إلا في عصرنا الحديث.

ثانيا وفيها دلالات على (بدء البحث عن وسائل التطهير) ضد الأوبئة والعدوى والآفات.

ثالثا وفيها دلالات على (طرائق المزج) وعلائق الأختلاط وكيف تؤدى مفعولها وأثرها في نقل الأخبار وتغيير المفاهيم وأثر ذلك على (المجتمعات) المتداخلة.

رابعا وفيها دلالات على (خصائص) التميز والتفريق مابين

المدينة المتحضرة... وابن الصحراء الساذج بطبعه والذى يتعامل مع الغير على سجيته.

خامسا ... وفيها دلالات على (حفظ الرواية والقصيدة) شعراً... رسخ أثره (بالنفس) فكتبت له الديموه أكثر مما لو قيلت نثراً.

يقول الاستاذ فخرى ابو السعود (نشأ الشعر العربى وارتقى في البادية سابقاً للنشر. اذ بلغ مابلغه من الرقي على ايدى اصحاب المعلقات وأضرابهم... وكان العرب بالشعر أولع... حتى عدوه معرض مفاخرهم... وقال عن صواب... الشعر ديوان العرب.. ولم تذع كلمة النثر حتى تحضروا وتثقفوا وانتشرت بينهم الكتابة والكتب.. فشاعر القبيلة كان وزير دعايتها... والشعر والسحر والكهانة والعرافة والتنبؤ والسجع كانت معاني والفاظاً متلاحمة الوشائج... ولم يعظّم الشعر والنثر العربيان يوما... ألا بعد علاقتها بالدين والدولة)..

ويقول أيضا (كانوا يقولونه في شرح احوالهم الفردية... من حب وذكر للديار.. ومناجاة للمطايا... وفي شرح امورهم الاجتماعية.. من المدح بالقرى والتفاخر بالبلاء في الحرب... والتوعد بالثأر.. يرسلون ذلك على السجية.. فظل شعر ذلك العصر ممثلا صادقا... بعيداً عن عبث العابثين... وكان العرب في الجاهلية لايعدون الشاعر فحلا حتى ينطق بالحكمة... فما لم يات بشيء منها فهو غّر بعد... لم ينضجه تنور التجارب... ولم تتكشف له حقائق الحياة). وظل الاعشى صناجة العرب... فيما قبل ذلك مزويا عن مرتبة الفحول... حتى قال في مدح سلامة

ذو فائشن... حكمته المشهورة (والشيء حيثما جعلا)... ونحن نقول:—

ولولا خلال سنها الشعر مادرى بغاة العلا من أين تؤتي المكارم!

ويقول أيضا (واشد ماحبب العرب في جاهليتهم في الحكمة ... أخذهم بحياة الحل والترحال... واشتغالهم أبداً بالقتال وادراك الثارات... فتلك حياة شديدة كانت تتطلب كثيراً من العمل... وقليلا من الكلام... وكان الانتفاع بالتجارب من أكبر أسباب النجاح فيها... والاشتهار بالحكمة والدراية من صفات الشيوخ والرؤساء.. ومنهم كان الكثير من فحول الشعراء ورجال البيان وفصائح الخطباء **كالأخوص** الأودى.. وقس بن ساعده.. واكثم بن صيفي وزهير بن ابي سلمى... والنابغة الذبياني وغيرهم. ومن أجلها كان العرب في تلك العهود يغالون بالشعر والحكمة... وينشئون ابناءهم على مدارستها... لأن حفظ اثارها... والتمثل بها يؤدّبان النفس... ويهذّبان الخلق).

اما الاستاذ (رينولد نيكلسون) فيقول عنهم (وعلى الرغم من ذوقهم الجاف.. فليس ثمة ماهو أخص في العرب الجاهليين من روح الفروسية والتضحية بالنفس لنجدة الصديق حتى ولو لم تكن له منها اية فائدة شخصية.. ويقدم لنا الشعر القديم كل البراهين والحجج على انهم كانوا يمقتون نكث العهد الذى اتفق عليه التاجر وعميله.. أو الضيف ومضيفه.. وكانت صفات الديمقراطية هي دستور القبيلة.. يتولى الاشراف على تطبيقه شيوخها الذين استحقوا السيادة بما لهم من شرف النسب. ونبل

الاخلاق.. وسعة الثروة.. وحكمة الراى.. وكمال التجربة).

وما تستوى احساب قوم تورثت   قديما وأحساب نبتن مع البقل

و يقول ايضا..(اذا شئنا أن نكتب التاريخ الواقعي لتلك الأحوال.. وجدنا ذلك اقرب الى المستحيل.. فليس لدينا من المصادر سوى القصائد والروايات التي ظلت محفوظة.. وطبقا لما ذكره السيوطي كان العرب في الجاهلية يطلبون من الراوية أن يقص حادثة تاريخية يقرنها ببعض الأشعار والحكم التى تتعلق بها.. وفي الحقيقة أن تلك القصص وأشباهها والتي حفظت على مر العصور. ظلت قائمة بين الأدب والشعر والتاريخ.. ووردت في شتى الاشارات الى احداث الماضي ورجاله).

أمور التجارة:

يقول ابو محمد الهمداني عن شبه الجزيرة العربية (ليس يوصل الى خبر من الأخبار سواء للعجم أو العرب الا بالعرب ومنهم). وكانت شئون التجارة والضرائب والعشور واصناف البيع المتعارف عليها.. وادارتها تستلزم ألماما بالقيود والحسابات. وكانت أسواق التجارة عندهم لاتخلوا ابدا من كاتب أو حافظ أو شاهد.. (الا ان تكون تجارة خاسرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم).

وكان أغلب الكتاب من الحيرة والأنبار وابناء الشام.. ومن تتلمذ عليهم من بلاد الروم والفرس.. وكان للموسويين في هذا كله صوله وشهرة بدهاءها بالرهون والربا.. واتبعوها بشئون المعرفة والأخبار التجارية والعلمية.. مثل سجلات الصكوك..

والمستنغمات.. ومثل المهاره بالطب والعطاره.. والتحكم بطرائق نشرها عن طريق الديون والقروض.. وقد اشتهروا بالظلم وتهديد حياة الاخرين في معاشهم واطفالهم وارزاقهم وعلى وجه الخصوص أولئك الذين يرتادون الوساطة مابين البادية والحاضرة.. فهم يحتكرون البضائع و يتلقون الركبان من بعيد.. فيهم من يتبع الوساطه في البيع والشراء.. وفيهم من يحرك.. وفيهم من يشترى لحساب أهل الريف والبادية.. الخ (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقتطرة من الذهب والفضة والخيل المسومه والانعام والحرث.. ذلك متاع الدنيا).

كأنك ديان عليها موكل
بها وفي كفيك يجرى حسابها

اليك رحلنا العيس اذ لم نجد لها
أخا ثقةٍ يرجى لديه ثوابها

الأسواق التجارية

واشهرها هي:—

دومة الجندل(في شهرربيع اول) وهجر(في شهرربيع الثاني)

وعمان (في جمادى الأولى) المشقر(في جمادي الثانية)

وصحار(في اول شهررجب) دبي وحباشة(في آخرشهررجب)

الشحر(في شهرشعبان) وعدن(في اول شهررمضان)

ثم صنعاء(في آخر شهر رمضان) رابية حضرموت(اول ذي القعده)

عكاظ ومجنه(آخر ذي القعدة) ذى المجاز(في شهر ذى الحجة)

خيبر(في اول شهر محرم) ثم اليمامة(في آخر شهر محرم)

ولم تكن مزاياها تجارية بحته... أو اقتصادية تربط مابين الداخل والخارج فحسب... بل كانت تقوم مقام (هيئات دولية وشعبية) أو مجالس قضاء أو تشريع... أو مجالس دعاية وندوات... لا تفرق مابين غني وصعلوك... ولابين شهير وغير شهير.. يتداولون أمورهم وأمور حياتهم الخاصة والعامة من خلال العام الواحد في كل شئون الحياة واداراتها... في التجارة والزراعة... وفي الكتابة والتسجيل... وفي الدعوات والشعر.. وفي الأخبار والخطابة... وماتمّ من عمل... وماسوف يؤدونه من افكار وتخطيط... أو ينون القيام به من مهارات أو عمل... من محاسنها (الجماعية) تلك الأسرة الكبيرة لتقصى الأحوال والظروف... وشمول القوانين والأعراف والأنظمة والدساتير.. وبداهة أن يكون من ضمنها (أمور العطاره والأدوية) والتى قد تأتى عرضا عندما يرد ذكر الآفات الاجتماعية (حسب مفهومهم في ذلك الزمان)... أو الكوارث الاقتصادية (حسب مفهومهم ايضا)... وماعدا ذلك فلم نجد في اخبارهم إلا تجاهلا للعلل والأمراض (البدنية والنفسية) اللهم إلا إذا جاءت في مجال الذم والتحقير.. فهي في عرفهم ومفاهيمهم (تحط من قدر الانسان ولا ترفعه) وتنزل بمقامه وقدره وسيادته... وتحط من كيانه ووجوده (كانسان قوى) يألف الصحراء وأهوالها... له منها ارادة

حديدية... وله منها عزيمة جبارة... وله منها صبر على المهالك والأذى... لايتذمر ولايتململ ولايشكوا... و يقول العرب في بعض حكمهم (اثنان لايستطيع العارف فراقهما ظله وعقله... و(خصلتان في الجاهل تنبئان عن جهله)... سرعة الأجابة وكثرة الالتفات... وتقول امرأة من (جديس) عن الرجولة:—

فموتوا كراماً أوأميتوعدوكم ودبّوا لنار الحرب بالحطب الجزلِ

والا فخلوا بطنها وتحمّلوا الى بلدٍ قفر وموتوا من الهزل

فَلَلْبين خيرمن تمادٍ على الاذى وللموت خيرمن مقام على الذل

وان أنتُمُ لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تعاب من الكحل

ودونكمُ طيب العروس فأنما خُلقتم لا ثواب العروس وللنسل.

وفي تلك الأسواق يحكى عن أثر (حنضلة بن نهد) وهو قاضي من قضاة العرب في الجاهلية.. وعن (خالد بن سنان) وهو حكيم من حكمائها.. وعن خالده بنت هشام أو (قبة الديباج) كما كانوا يسمونها.. وعن (جر يبه الفقعسي) أشياء كثيره وكثيره جدا.. ابرزها ماكان يحكى عن (نابغة بني ذبيان) أيام الجاهلية. وكانت تضرب له قبه (بعكاظ) يجتمع اليه فيها من الشعراء وطلاب الحكمه.

دخل عليه (حسان بن ثابت مره وعنده الأعشى صناجه العرب) وشاعرة المراثى (الخنساء)وقد انشدت لتوها عن اخيها (صخر). فقال النابغة (لولا أن أبا بصير انشدني قبلك.. لقلت انك اشعر العرب) الخ.

من هذه المنتديات الجماعية.. ومن هذه الأسواق الدولية نبعت ينابيع فنون الأدب العربي الأصيل بكامله.. نبعت فيها تلك الفنون (لامن السنة أبناء الصحراء) وفراستهم فقط.. وانما من افكارهم وانفعالاتهم.. بيانا وشعرا وفصاحة وبلاغة ورواية وتاريخاً وخطابة ــ وليس مانقرأه اليوم.. وليس مانسمعه اليوم.. (إلا محسنات لفظية) فاقدة للأثر والتعبير معاً.. فاقدة للحس المرهف والصدق الخالص.. فاذا مارغبنا تصوير تلك المواقف تصويراً واقعياً.. تحتم علينا أن نعيش اجواءهم العامه.. واجواءهم النفسية معا..

١ ــ تصور نفسك خطيبا أمام جمع من الناس.. ترى ماهي الأسس التي سوف تبدأ فيها لمواجهة الجمهور؟!

٢ ــ وتصور نفسك تبحث عن المداخل والمخارج.. فساعتها سوف تجد نفسك واحداً من ثلاثه أشخاص:.
ــ اما مقداما متحكما من الموقف بكل جداره.
ــ واما مترددا يتدافع مع نفسه خجلا منها ومنهم.
ــ واما منهارا مهزوما أمام نفسه قبل أن ينهزم أمام الجمهور.

٣ ــ ثم ارجع الى ايام الجاهلية وتصور نفسك واحدا من اولئك الخطباء أو الحكماء أو الشعراء. تجدهم من (الصنف الأول) دائما ولاوجود ابدا للأصناف الباقيه. وتلك هي الجراءه والثقة بالنفس.. ومن ثم فلا تلمني عندما أقول بأن تكوين العربي القديم (نفسياً وفكرياً وجسمانياً) يختلف تمام الاختلاف عما نحن عليه الآن.

فكان المشهور عن المهارات الفكرية والصناعية في ذلك الوقت:ــ

١ ــ حكماء اليونان ، وصاغة حران ، وحاكة اليمن ، وكتّاب السواد ،

٢ وفي تجارة الحصباء النادرة:

ياقوت سرنديب ، ولؤلؤ عمان ، وزبرجد مصر ، وعقيق اليمن ، وجزع ظفار ، ومرجان افريقيه.

٣ أما الملابس فنها:

برود اليمن ، ووشي صنعاء ، وريط الشام ، وقصب مصر ، وديباج الروم.
وحرير الصين. وحلل اصبهان. وجوارب قزوين ،

٤ وفي الوبر كان هناك:

سنجاب خرخير، سيمور بلغار،ثعالب الخزر ، وفتك كاشغر ، وحواصل هراه ، وقاقم تبريز.

٥ومن الفرش كان هناك:

بسط ارمينية ، وزلالي قاليقلا، ومطارح ميسان ، وحصر عبادان.

ومن الطيب:

ناردين السورى(بالهند) ، ومرو المر ماحوز(نوع من المرجان) ، والعنبر الشحرى ،

والعود المندلي . والصندل الجوري . وقرنفل سفاله(بالهند) .

ومسك التبت . وسمسم الديبل .وكندر الشحر .

٦ ــ وسموم الأفاعي والعقارب :ــ

أ ــ من أفاعى سجستان ب ــ وثعابين مصر

ج ــ وحيات أصفهان د ــ وعقارب شهرزور.

٧ ــ ومن سحنات الجوارى والقيان :ــ

أ ــ شقراء الروم ب ــ سواد الزنج

ج غلظة الترك د ــ ودمامة الصين

٨ ــ ومن الأوبئة والأمراض :ــ

أ ــ طواعين الشام ب ــ طحال البحرين

ج ــ دماميل الجزيرة د ــ حمى خيبر

هـ ــ قروح بلخ و ــ نار فارس (القرحة الآكلة).

٩ ــ وعن وسائل المواصلات :ــ

أ ــ عتاق البادية ب ــ نجائب الحجاز

ج ــ حمير مصر د ــ لطائم النعمان

هـ ــ براذين طخارستان.

١٠ ــ وعن الأعشاب الطبية:ــ

أ ــ ماينبت في أجواء البحر الأبيض (الشيح والقيصوم، خانق الذئب.. الكزبره... الزعفران.. الحنظل.. البابونج.. الداتورة.. الكمون.. النعناع.. العفصى.. الزيتون.. السنامكى.. المر والحلبة واللوز والرمان والخردل والبصل... الخ.

ب ــ وما يأتي من بلاد الزنج (وهي مختلفة الألوان والأنواع تبعا لاختلاف الأجواء فيها).. فهى حاره رطبة.. تصدّر (الصمغ العربى.. اللبان.. الحناء.. السكران.. الخروع.. الخطمى.. الريحان.. الكركديه.. الياسمين) الخ.

ج ــ ومايأتى من أجواء أسيا (وهي من حيث التجارة) قريبة بعيدة الى بلاد العرب.

وأن أى استعراض للبضائع التى ذكرناها توأ.. لدليل على مكانة تلك الروابط التجارية.. بما في ذلك الأعشاب الطبية والعقاقير (أنظر قبلاً).. أما في الداخل فيقول الاستاذ (حمد الجاسر) أن ملك دومة الجندل كانت له صلة بعبد شمس في مكة.. وقد تزوج منهم أخاه (بشراً) وأقام وعلم جماعة منهم (فنون الكتابة).. وكانت حماية الأسواق التجارية تعتمد على قوة القبيلة التى يقع السوق في بلادها.. وكانت (كلب) من أقوى القبائل في شمال الجزيرة ولها صلات قوية بالقبائل المجاورة مثل طئ وأسد وبني تميم.. وكان كل تاجر يخرج من اليمن والحجاز يتخفّز بقريش ماداموا في بلاد مضر.. ولايهيْجم حليف

المضرى.. وكانت كلب لاتهْجم لحلفهم بنى تميم وطئ وأسد.

و يعلق الاستاذ (فخرى ابو السعود) على تجارة العرب وادبهم الجاهلى بقوله:

(وكان العرب على تفرقهم يشعرون بوحْدتهم في الجنس واللغة والنزعة... ويجتمعون في مواسم الحج وأسواق التجارة والأدب... كما كان اليونان يجتمعون في أدلفي واولبيا... وكما كان اليونان يزدرون غيرهم من الأعاجم و يلقبونهم بالبرابره... كذلك كان العرب يعتدّون بعربيتهم و يلقبون غيرهم بالأعاجم ايضا... أضف الى ذلك أن الأدب العربي كان دائما يؤثر التقليد ويحجم عن اتخاذ مواضيع أو صور جديده لم يرثها عن العرب لأولين... ولهذه النزعة المحافظة مانفى كثيرا من فنون القول ومنادح الفن لم يحسبها جديرة بالتفاته. لأنه لم يرثها عن الأقدمين).

و يقول ايضا (وقد كان أكثر العرب في جاهليتهم رحالين لاينزلون ارضا إلا ريثما يتحولون عنها... ومن ثم شغفوا حبا بأبلهم وجيادهم... و برعوا بوصفها).. وكثرت في لغتهم أسماؤها واسماء سيرها... وقدموا الحديث عنها بين يدى قصيدهم وأدمنوا ذكر ارتحال أحبتهم... ومدحوا بطول التنقل وانصاف الرواحل وإباء المقام بارض الذل... وكان بعض سادتهم يسافرون الى ملوك الفرس والروم... والى تلك الرحلات المختلفة الأغراض يرجع الفضل في انتشار بعض اسباب الحضارة والرقي الفكرى والكتابة الخطيه بين العرب:

ولولا اجتناب الذام لم يلف مشرب
يعاش به الا لدي وماكل.

ولكن نفسا حرة لاتقيم بي
على الذل الا ريثما اتحول.

وكان لذلك كله... الأثر في اذهانهم وآدابهم... والتقت تحت راياتهم شتى الحضارات والأجناس... فمشى التجار حيث مشى الجنود... وسار الحكماء والأدباء في شرق الأرض ومغربها يطلبون المعرفة والأدب والحكمة... وكذلك يلتمسون الرزق والجاه والحظوة:

ذراني في الفلاة بلا دليل ووجهي والهجير بلا لثام
فاني استريح بذا... وهذا وأضوى بالاناخة والمقام.

يحكى عن (الحارث بن مضاض الجرهمي) أن حركة بني اسرائيل قد نشطت وزحفت نحو مكه يريدونها تحت سيطرتهم.. فقاتلهم الحارث وهزمهم واستولى على (تابوت من الكتب كانوا يحملونها كبديل منتحل تقولوه على الزبور).

أنواع المعتقدات والفراسه
PHYSIOGNOMY

لقد قلت فيما سبق من كلام وتحليل.. ان من صفات الأمة العربية القديمة.. المزج مابين (أصالة الفرد على الأرض.. وعقيدة الفرد من السماء).

اى بما معناه:ـ

أولاً ـ النظرة الظاهرة لقسمات الفرد وخفايا سلوكه ليس من الأمور السهلة مطلقا. لاسيما اذا تعرضت لاعماق التحليل العلمي كما هو حاصل في هذه الأيام.

ثانياً ـ وأن فنون الذكاء ومواهب الفطنه لا تتوفر الى فرد من الأفراد إلا بالجمع مابين تجارب الحكمة على الأرض وعمق الايمان من السماء.

ثالثاً ـ ولا أدل على ذلك مما نتعامل به في عصرنا الحاضر من بقايا ومخلفات لتلك المبادئ وعلى عدة أشكال وصور تبعا لظروف الحياة وتبعا لطبيعة الشعوب.

ولما التقي الابطال واشتجر القنا سجالا واسباب المنايا سجالها

تبين لي ان القماءة ذلة وان اعزاء الرجال طوالها

ويقول الأصمعي .. الفارس هو.. بين الفروسه والفراسه والفروسية.. اذا كان فارساً بعينه ونظره.. والفراسه (بكسر الفاء) هي النظر والتأمل به والبصر به.. وفلان فارس بهذا الأمر. اذا كان عالما به.. وفي الحديث الشريف.. اتقوا فِراسة المؤمن فأنه ينظر بنور الله.

ويقول العرب.. وأفراس الناس.. أى أصدقهم فراسة هم ثلاثة:—

١ ــ امرأة العزيز.

٢ ــ وأبنة شعيب.

٣ ــ وابو بكر في تولية عمر بن الخطاب.

والعرب في تحليلها لتلك الأمور المعقدة.. لاتجمع تلك الطبائع في صورة واحدة.. وانما على عدة صور واشكال كما سوف نرى. (من الادعية والروايات والاساطير والأشعار):

فمثلا.. انتصاب القامه. وبياض البشرة.. المشربة بالحمره.. ولين اللحم.. وانفراج الاصابع. وعضم الجبهة.. وشهلة العين.. ومهابة الطلعة.. تدل على الزعامة والرياسة.

— وخشونة الشعر .. تدل على القوة والشجاعة.

— ونتؤ الجبهة .. يدل على الفهم العميق والادراك.

— وصغر حجم الراس .. يدل على الجهل والغباء.

— وسعة الفم .. دليل على الشره والتطفل.

— وغور العين .. دليل على الخبث والمكر.

— وسرعة الكلام .. دليل على الطيش والحمق .. وهكذا.

وكان للعرب في مجتمعاتهم عدة ادعية مألوفة:—

١ — منها مايطعن في عقيدة المرء وسخط السماء.

٢ — ومنها مايشير الى هلاك اقتصادى .. حيواني وزراعي وتجاري.

٣ — ومنها ماهو اجتماعي يدعوا الى الشر والنقائص والفساد.

٤ — ومنها مايدل على أوبئة وآفات وهو مايعنينا.

فمثلاً :

رماه الله بغاشيه...وهو وجع ياخذ على الكبد و يكوٰى منه المريض.

رماه الله بسجاف... وهو وجع بين الكتفين و ينفث صاحبه..و يقال عنه السل.

رماه الله بالعرفه...وهي قرحه أكله تاخذ في اليد والرجل وربما شلت.

رماه الله بالحَبَن والقداد... داء يصيب جوف البطن.

سقاه الله الذيفان... السم سريع الفتك.

رماه الله بالذبحه... وهو وجع يكون في الحلق يطوقه.

رماه الله بالقصمل... وهو وجع ياخذ الدابة في ظهرها.

وزْ يـاً .وزيدـ بزْياً... الوري داء في الجوف فلا يزال حتى يقتل.

رمـاه الله بـالواهـنه... وهو وجع ياخذ في المنكب فلا يقدر الرجل ان يرمى حجرا. وهكذا. الخ

امـا اذا عـدنا الـى دراسة الظروف الاجتماعية للأمة العربية القـديمـة.. والـظروف الجـغرافية.. ومواصفات المحيط والبيئة التي كـانـوا يـعيـشـون بهـا.. لابـد وان نخـرج مـن الـنـاحيتين العلمية والمـعيـشية بعدة ضرورات أساسية وحيوية.. هي بالنسبة لغيرهم كـمـالـيـات.. وبـدون شـك الـفـرق واضـح مـابين الكـمـالـيـات والضروريات.. وأن أى حكم أو نقاش سوف لايكون صائباً من أى طـرف مـالم يـصـدر من نفس الموقف الذى يعيش فيه الطرف المقابل.. وبمعنى:—

١ ــ ان تلك الظروف التى أشرنا لها تختلف عمن سواها من الحضارات المجاورة وغير المجاوره.

٢ ــ وأن الـسـلـوك الـبـدني والتصرفات الفردية والاجتماعية مـاهـي إلا حـصـيـلـة دوافـع نـفـسية طبيعية تنطلق من تـكـويـنـات حيه معينه الى أجواء معينه لبلوغ اغراض معينه.

٣ ــ اكـاد أجمـل تـلـك الـدوافـع الخـفـيـة الحـيـويـة بـثلاث ضرورات تكمل بعضها بعضا لتنسجم مع تلك الظروف وتلك التكوينات الحيه:

أ ــ دوافع الأمن والحمايه من الأكدار بجميع أنواعها.

ب ــ دوافع التغذية للحصول على الطاقة وتقوية الأبدان.

ج ــ ودوافع الجنس من أجل امتداد الجذور العرقية وضهورها على شكل فراسة فطرية وبداهة طبيعية يتمتع بها تلك الأقوام الذين يعيشون في أجواء حره متفتحه.. ولم أجد لغريزة (دفع الألم أي وجود). فلما رجعنا الى العلم الحديث وجدناه قد أثبت صحة ماذهبوا اليه بدنيا ونفسانيا وعقليا.. انظر الصور. (٢١ ــ ٢٢).

فمثلاً :

١ ــ غريزة الحماية والأمن (وهي غريزة المحيط والبيئة). تشمل الانسجام الذاتي مع غريزة منع الألام. اجتمعت وتكاملت فيها كل قوى الفرد الكامنه لصد هجوم صدمةٍ من الأكدار مهما كان نوعها.. فالجسم بكامله يقف في حالة استعداد ووضع يتناسب وتوقعات هجوم تلك الصدمة.. أول اغراضها التخفيف من فوعة ألم الصدمة.. وآخر اغراضها أذابة تلك الصدمة بكاملها والتعايش معها حتى تمر بسلام.

٢ ــ ومثل آخر. (دوافع الأمن ودوافع الطعام). نجدها متعارضة من البداية ولاتنسجم أبداً.
وعكسها دوافع العُشرة ودوافع الطعام.. نجدها تنسجم وتتكامل الى درجة ارتفاع الشهية عند المجموع أكثر من الفرد لوحده. Feeding and companion motivation

٣ ــ ومثل ثالث. (الحب ودوافع الجنس مابين أثنين).

تـتحكـم بها قوى ثالثه. تخرج على شكل سلوك ثالث يحفظ التوازن مابين الأطراف حسماً جازماً. فأما الانسجام واما الهروب ولاشيء وسط. Volition

انظر الصور (٢١ ــ ٢٢ ــ ٢٣ أ)

اذن فأمر الفنون والمواهب القديمه في الفراسة والفروسية نعتبرها. (قوة ثالثة). من الدوافع وردود الفعل في اجسام أولئك الأقوام ونكاد نصورها على هذا الشكل:ــ

١ ــ فنون الفراسه والفروسيه.. أعمال ذهنية مفاجئة.. ومواهب فنية قابلة للتطوير يشترك فيها الذكاء والبدن معا.. وخصوصا في الظروف الحرجه والأحوال القاسيه.

٢ ــ وبديهي جدا.. اذا مادخل البدن والذكاء الى ميدان العمل والتطبيق أن تختفي الأكدار النفسيه والآم البدن تلقائيا.. لماذا؟ لأنها تتحول في الداخل الى طاقات جماعية متكامله تنطلق معا لتحقيق غرض محدد وبشكل لم يصل اليه العلم الحديث مئة بالمئه.

٣ ــ والفارق مابين واقع القديم وأبحاث الجديد يقع في أمرين مهمين ذكرناهما سابقا في أول هذا الكلام. وأقصد بها الأجواء الطبيعية المفتوحة والحياة العملية غير الهينة.. واحتقار اولئك القوم لكل مواقف الألم والتألم... بينما يقابلها في العصر الحاضر أكدار نفسية متتابعة.. وآفات عقلية وآلام جسدية انحرفت بتلك

الطاقات الطبيعية فحولتها الى علل ومخاطر من كل الأنواع فضاعت الفراسه وتدهورت الفروسيه.

يذكر الاستاذ (شويند) استاذ الجراحة في جامعات سويسرا في بحث علمي عن غرائز الانسان والجهاز العصبي عدة أمور. تعتبر جديدة في تفسيراتها ولكنها في نفس الوقت مكملة للتعبيرات القديمه.. فيقول لو ساءل واحد منا نفسه.. من أنا؟! لأجاب كما يجيب غيره. (انا هي نفسي.. ونفسي هي أنا). وأن النظريات اليونانية في الغرب وعقيدة الهنود البراهيميين في الشرق.. قد اعطت للفطنه والذكاء في الجسم مدلولات حيويه أخرى.

وأن هذه المبادئ الحيوية ترتكز على قدرات ثلاث:—
Intellectual- Power (weird)

١ القدره على التفكير Thinking

٢ طاقات الارادة او العزيمه والحسم. Volition

٣ وقوى التجريب. Experience

٤ وهذه القدرات الثلاثة في نفس الانسان تتحكم بوسائل أخرى:—

الأولى — نسبة الدوافع الباطنية. Motivaton

الثانية — كثافة ردود الفعل الظاهره. Reflex

الثالثة — الاندماج التكاملي فيما بينها والذى لاندرى كيف يتم على وجه التحديد. integration. فاذا كان هناك من علم ومعرفه فيما يتم في المحيط الظاهر.. فان الجهل والغموض لازال يكتنف المواقف والأحداث في المحيط الباطن.

والسبب في ذلك هو عدم الجرأة على تحويل النظريات التى لدينا.. الى حقائق مؤكدة لقلة الأدلة والبراهين رغم الأبحاث وكثرتها. أنظر الصوره رقم (٢١ ــ ٢٢ ــ ٢٣ أ).

القنطرة الثانية للعبور (المعتقدات)

لقد قرأنا في الجزء الأول من هذا الموجز شيئا عن البابليين والاشوريين وشيئاً عن عباداتهم مركزة في (الآلهة والشياطين) ثم تحولنا في الجزء الثاني الى الاغريق والرومان والهند وفارس... وذكرنا كيف أضيف إليها شيءٌ جديد عن (الأرواح). منها ماهو ثابت ومنها ماهو متحرك... منها مايطارد الناس ومنها مايتأمله الانسان و يثق فيه... وها نحن (في هذا الجزء) نعبر الى عبادات متعددة من المعتقدات الفردية والجماعية... لكل واحد (الحرية الكاملة) في أن يختار منها مايشاء:

أ ــ يروى عن (عمر بن لحي) أنه قاتل جرهماً ببنى اسماعيل فظفر بهم وأجلاهم من بلاد مكه.. وتولى حجابة البيت العتيق... واصيب بعدها بمرض شديد قيل له (أن في بلاد البلقاء من الشام حمه) أي عيون ماء ساخنة يستحم بها.. وأنك لو اتيتها برئت من مرضك... فلما اتاها واستحم بها برأ وشفى من علته... فوجد اهلها يعبدون الاصنام فسالهم عنها فقالو (نستسقى منها الامطار.. ونستنصر بها على العدو والاخطار ونستشفى بها من الافات والأمراض)... فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا... فلما قدم بها الى مكه

نصبها حول الكعبه وفي داخلها... وبقيت تعبد حتى دمرها رسول الله (ص) بعد الفتح.

ب ـ ويذكر صاحب كتاب (الاصنام) قصته لها معانيها واثارها... يقول كانت (العُزّى) شيطانة تاتى ثلاث سمرات ببطن وادى نخله... فلما افتتح النبى (ص) مكه... بعث بخالد ابن الوليد نحوها وأوصاه:ـ

١) آت بطن نخله... فانك ستجد ثلاث سمرات... فاعضد الأولى... اى اقطعها.

٢) فاتاها فعضدها ثم اتى الى النبى (ص) فساله هل رأيت شيئاً؟

٣) قال خالد ... كلا.

٤) قال الرسول (ص) فاعضد الثانية... فأتاها فعضدها ثم رجع الى النبى (ص) فقال له... هل رأيت شيئاً؟.

٥) قال خالد ... كلا.

٦) .. قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) فاعضد الثالثة.

وقد فهم خالد (رض) عنه ماكان يقصد الرسول ولكن بعد أن تأكد من جدية الموضوع.. ومن ثم سداد النقص واستكماله في كل فعلة يفعلها. وان توصيات الرسول يجب أن تنفذ كامله.. فلما عضد الثالثة فاذا هو بحبشية نافشةٌ شعرها.. واضعة يديها على عاتقها.. تصرف بانيابها.. وخلفها (دبيه بن حرمه الشيباني) وكان سادنها.. فلما نظر الى خالد صرخ وقال..

أعزاء شدي شده لا تكذبي على خالد.. القي الخمار وشمرى

فانك الا تقتلى اليوم خالدا تبوئي بذلّ عاجلا وتنصرى

فقال خالد..

ياعز كفرانك لا سبحانك اني رايست الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق راسها.. فاذا هي جحمه (اى فحمه) سوداء. ثم عضد الشجرة وقتل دبيه السادن. وأتى الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره.. فقال تلك العزى ولاعزى بعدها للعرب. (اما انها لن تعبد بعد اليوم). ومن هذه الرواية تتبين لنا أمور كثيره تدل على اخلاق العرب وسلوكهم الاجتماعي مع العقائد والعبادات.. وكان صنم العزى هذا هو في المرتبة الأولى في نفوس قريش.. يأتي بعده (اللات ثم مناه).

وكان لقريش اصنام في جوف الكعبة وحولها.. وكان (هبل) اعظمها شانا.. وكان مصنوعا من العقيق الأحمر على صورة انسان. مكسور اليد اليمنى.. ابدلوها بيد من ذهب.. وكان أول من وضعه في هذا المركز (خزيمه بن مدركه بن الياس بن مضر). وكان يقال له عندهم (هبل خزيمه).

ولم يكن هبل وحده هو معبود العرب الوحيد فقد انتشرت الاصنام كوسائط في جميع انحاء جزيرة العرب.. اما على شكل بيوت واما على شكل اشجار واما على شكل حجاره مصوره الخ.. وكان لكل قبيله صنم تختص به.. وكان الصنم (مناه) هو اقدمهم

ويعتبرونه اله للقضاء والقدر. نصبوه على ساحل البحر بموقع (قديد) بين مكة والمدينة.

ورغم هذا وكما قال الدكتور (حسن ابراهيم حسن) فان عقيدة التوحيد كانت طاغية عليهم وهي السائدة.. ولكنها تائهة بدون هداية او ارشاد. ويذكر عن (الغوث بن مر) انه كان متصوفا في عبادته وأليه تنسب فئات الصوفيه التي جاءت من بعده... والصوفيه كما نعرف عنها اليوم أنها (فئات تنذر ارواحها وعباداتها الى خالقها) لامن أجل تطهير النفس في الدنيا فحسب. وانما ضمانا للخلود الابدى ايضا.. الأمر الذى جعلهم ينشدون الوسائط علها ترشدهم أو تهديهم الى شيء موجود في عقولهم ونفوسهم ولكنه مفقود.

فاذا صح هذا وكانت الرواية سليمه فاننا نستنتج امورا كثيره تتعلق باكدار النفس وويلاتها في ذلك الزمان. ومهما يكن من أمر فان الموضوع واسع وعميق وشائك ومعقد ليس لنا القدره على الاحاطه به.

وكانت هناك الى جانب الاصنام والوسائط.. وسائط أخرى تختص بالفال والرجم بالغيب.. يدعونها (اقداح) وهي الميسر والجمع (أقداح واقداح) وقداح وأقاديح.

اما أولات الذرى منها فعاصبه

تجول بين مناقبها الأقاديح

وكانت اصناف الأقداح تتعدد حسب الحاجة الحيوية... فنها قدح للميت... وقدح للنكاح... وثلاثة لم تفسر.

١ ـ اذا أختصموا في أمر.

٢ ـ او عزموا على السفر.

٣ ـ أو على أمور غامضة وفيها معضلات.

أتوا الى هذا الصنم فاستقسموا باقداحه... فما خرج عملوا به:

د ـ وكانت العرب تتسمى بأسماء اصنامها... عبد غنم... عبد مناة... عبد الليل الخ.

هـ ـ وكان لكل اسرة (صنم) في دارها... يعبدونه... ويتمسحون به عند الرحيل والاياب... والذين لايقدرون على اقتناء صنم... يتخذون بدلا منها (انصاباً من حجر) توضع داخل الطواغيت (وهى غرف يتمثلون بها بالكعبة).

و ـ وكانوا ياخذون معهم في الأسفار.. اربعة نُصُب يتخذون من احسنها (صنما) يعبدونه ويتركون الثلاثة (اثافي للقدر) يطبخون عليها طعامهم.

ز ـ وكان (بنو مليح) من خزاعة يعبدون (الجن)... وفيهم نزلت الآية الكريمة (ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم).

ح ـ وكان بساحل جده صنم يقال له (سعد) لبنى كنانه... على شكل صخرة طويلة... اقبل عليها بدوى يتبرك بها ومعه الابل... فلما أدناها منه نفرت الابل وذهبت في كل وجه وتفرقت... فتناول حجرا ورماه به وقال

(لابارك الله فيك الاهاً... انفرت علي ابلى...)
وأنشد يقول:—

أتينا الى سعد ليجمع شملنا
فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد الا صخرة بتنوفة
من الأرض لايُدعى لغي ولارشد؟

(وتنومه) هي الأرض المرتفعة.

ط — ويروي الجاحظ عن عرب الشام في الجاهلية... أن الرجل فيهم لايحلق راسه عند المعبد الا وعلى راسه قبضته من (قره) وهي خلطة من الدقيق والشعر.. لتكون صدقه للفقراء والبائسين... وتكون في نفس الوقت طهرا له من الذنوب... فمن اخذ من ذلك الدقيق لنفسه في (عرفهم) معيب وتعتبر سيئه لابد لها من فداء.

ي — أما عن الشر والخير.. والشياطين والجن... فلسوف نفهم عن (مداركهم) في وقتها المناسب... ومجمل القول فان مفهوم الشيطان لايقل عن مفهوم البابلى أو الكلدانى القديم كما توضحه هذه الانشودة الدينية آنذاك:—

سبعة شياطين هم ... سبعة.
في المحيط العميق ... سبعة.
مترهفين السمع ... سبعة.

نشأوا في اعماق المحيط ... سبعة.
ليس فيهم ذكر ولاانثى.
بل هم مثل صوت العاصفة المتجولة.
ليس لهم زوجات ... ولاينجبون اولادا.
لايعرفون الرحمه ولا الشفقة.
لايستمعون الى صلاة او تضرع.
بل هم مثل خيول ترعى بين التلال الخ.

سطيح وايوان كسرى

الذئبي...أو ربيعة من بني الذئب من عمرو بن مازن...

وقد زعموا أنه (يطوي جسمه) كما يطوي الحصير.. ولاعظم منه الا راسه... قدم عليه (عبد المسيح) من العراق فقال له (ياعبد المسيح... اذا كثرت التلاوه... وبعث صاحب الهراوة... وفاض وادى السماوه.. وغاضت بحيرة ساوه... وارتجس في فارس الايوان... وخمدت النيران... فليست الشام لسطيح شاما) وهو يعني (دنو اجله) مع بعثة محمد (ص) برسالة السماء.

و يذكر الشهرستاني ضربا من ضروب العبادات فيقول:

١ ــ للصنم بيت خاص به ... بنوه باسمه ووقفوا عليه ضياعا.
٢ ــ وللصنم سدنه وقوامون ياتون بالطعام والشراب واللبن.
٣ ــ فتاتي الطائفة العابده الى هذا البيت فيصلون.
٤ ــ فاذا اغرقوا في الصلاة اخذوا في الرقص واللعب بالمعازف.. او ايقاد النيران.

٥ ــ ثم يأتي أصحاب العلل فيصومون و يدعون و يستشفون.
٦ ــ وما يحدث خارج هذه البيوت فامور شتى ومعتقدات تتناسب مع المواقف والحالات ولسوف ندركها من خلال الحديث المقبل.. (انظر الجزء الثاني).

سطوة الاقداح

كان العرب في الجاهلية يسلكون مع عباداتهم مسالك متعددة.. منها حالات السفر. ومنها حالات الزواج. ومنها حالات الولادة. ومنها حالات المعاهدات الخ.

و يضرب بتلك الأقداح قبل الاقدام على أى عمل منها.

١ ــ مكتوب على فئة منها (أمرني ربي).
٢ ــ ومكتوب على فئة ثانية (نهاني ربي).
٣ ــ والثالثة منها غفل (اى لاكتابة فيها).
٤ ــ ينفذ مايخرج منها (اما امرا واما نهيا) فاذا خرج الغفل (واعادوا الكره حتى تخرج بواحدة مما سبق وذكرنا).

زجر الطيور

ان عمل الزجر في مفهوم العرب القدامى واسع وعميق. لايقتصر على الانسان وحده أو الطير وحده وانما يشمل حيوانات الصحراء والحيوانات الأليفه ايضاً... و ينقل عن العرب أن (الكلب) يعرف المُعتل من السليم.. والذكر من الأنثى... فلا يعدو على الأنثى أبداً... وانما يعدو وراء الذكر لأنه عند الفزع يدركه الحقى (اي حصر البول) فيلحق به الكلب... وان

العقاب اذا اشتكى من كبده لاياكل الا من الأكباد حتى يبرأ من الوجع. وأن العقرب اذا وضعت مع الفاره في أناء واحد. قرضت الفاره طرف الابره فتسلم من شر العقرب. وهكذا. وعمل الزجر هو (المنع او التيمن) بالنسبة للطير والضبى.. للسانح وللبارح.. وهو كالردع بالنسبة للانسان. وهو ضرب من ضروب الكهانه والعيافه.. وزجر الابل اى حثها وحملها على السرعة.. حيث يقال للبعير (حوب.. وللناقه حل).

والزجور من الابل هي التى تزأم بانفها وتمنع درها (اى تعرف بعينها وتنكر كل غريب) ولا تدر اللبن حتى تزجر. انظروا الى أى درجة وصل الاحساس الدقيق باحياء الصحراء.. فما بالكم بالانسان صاحب العقل والذكاء والفراسه؟. وقد ربطوها بعادات الحرب وتقاليدهم فيقال: (والحرب لاقحة لمن زجور). الخ.

ولسوف نحاول من الشواهد المقبلة اثبات وجهة نظرهم من الناحية العلمية وان كانوا يتعاملون معها على السجية وعلى الطبيعة وبدون تكلف اللهم الا من الناحية العقائدية التى كانوا يضعونها في الرتبة الأولى دائما.

وعلى الرغم من الأسماء الرنانه العصرية (فانها الى التعبير اقرب منها الى التطوير) تطوير الواقع الحقيقي الذى يحدث داخل النفس البشرية اللامحدوده في تركيبها وتكوينها.. فكثيرا ماسمعنا في هذه الأيام عن طبيب نفساني وقد تحول الى مريض نفساني. وكثيرا ماسمعنا عن مريض نفساني وقد انتقم من غيره

او انتحر من ذاته.. ترى لماذا؟. اليس هو التركيب الهش في النفوس الهشه التي لا تقدر على الصد والمقاومة؟. Fragile

دعونا عما يجرى في هذه الأيام. وعودوا بنا الى ايام العرب القدامى (ايام الحسم والعزم والتصميم) فماذا نجد؟ فلقد كانوا يتعاملون مع الكائنات الحية الدنيا وكأنها جزء من حياتهم وبيئتهم. وكانوا يتعاملون مع العقارب والطيور والأنعام (تماما) كما كان القدامى قبلهم يفعلون مع الشمس والقمر والنجوم والفلك.. يتفاءلون بها أو يتشاءمون منها تبعا للخير أو للشر الذى يلاحظونه منها.. ولاأغلو أبدا اذا ماقدمت من الشواهد والأدلة الحديثه ماهو نافع ومفيد فليس كل متفائل بقادر على التفاؤل. وليس كل متشائم بقادر على التشاؤم. مالم يكن ذا فراسه.

يقول ثلاثة من العلماء المحدثين عن ريشة الطائر وتكوينها والوانها وكذلك عن عيون الطائر أشياء مذهلة.. قد نستدل من ايجاز هاما هو مفيد:—

١ — انظر الصورة رقم (٢٦) والتى رسمها الاساتذة (اودولف بورتمان، ولوكاس لاندمان، وهانز ديورر) كدليل مبدأى ومفاتيح بسيطه لبعض الغموض في الطائر.

٢ — فنها استدلوا على كوامن القوى السرية والسحرية التى تحفظ اتزان جسم الطائر في الجو مما يعجز العقل.

٣ — بل وعجزوا عن تحويل النظريات القديمه الى حقائق مؤكدة (على الرغم من وجود الامكانات الحديثه).

٤ ــ وقد ظهر من هذا كله (أن الحيرة العلميه الجديده) ماهي الا امتداد لتلك الفراسة العربية القديمة.. وأن مواضيع (الحجم والوزن والسرعة والكثافة) ماهي الا تحديد علمي لكشف الاسرار والغوامض القديمه... والتي لازالت في حيرتها وغموضها جديده.

٥ ــ فكيف يندفع الطائر.. وكيف يميل... وكيف يثبت في الهواء وهو طائر.. وكيف ينقضّ على فريسته من شاهق الى أعماق الرّمال والبحار؟!.. كلها أمور أثارت دهشة الفراسة في السابق... ولازالت تثير اعجاب الفكر فى اللاحق.

نيران العرب

(الذين قالوا ان الله عهد الينا الانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تاكله النار)... الآية

١ ــ نار المزدلفة ... أول من اوقدها (قصى بن كلاب).

٢ ــ نار الاستسقاء ... وقت الجدب والازمات... يجمعون لها بقرا معلقة في اذنابا وعراقيبها (السلْعُ والعشر) و يصعدون بها الى جبل وعر و يشعلون فيها النار و يضجون بالدعاء والتضرع لنزول المطر.

٣ ــ نار الزائر والمسافر.. و يسمونها نار الطرد... عندما يرغبون في عدم رجعته بعد الوداع.

٤ ــ نار التحاليف ... لايعقدون حلفهم الا عليها.

٥ ــ نار الغدر ... اذا غدر الرجل بجاره اوقد له نارا (بمنى)

ايام الحج على جبل (الاخشب) يستصرخ الناس على غدرة فلان:

فان نهلك فلم نعرف عقوقا   ولم توقد لنا بالغدر نار

٦ ــ نار السلامه ... للقادمين من السفر ومعهم الغنائم.

٧ ــ نار الحرب ... الاستعداد والانذار.

٨ ــ نار الصيد ... حتى يغشى الدخان عيون الضباء والصيد.

٩ ــ نار الاسد ... اذا دب الرعب وخشوا بطشه... ومن عادته انه يشاهدها عيناً ولايجرؤ على الاقدام فيقتل.

١٠ ــ نار السليم... توقد للملدوغ والمجروح وعضة الكلب حتى لاينام و يشتد به الألم (و يعلقون عليه حلى النساء و يتركونه سبعة ايام)... كما هو الحال مع (اللّه).

يسهّد من ليل التمام سليمها

لحُلي النساء في يديه مقافع

١١ ــ نار الفداء... اذا سبا رئيسهم قبيلة... خرجت لاستقبال السادات مع الفداء... والنساء يقدّمنها ليلا على ضوء اللهب.

١٢ ــ نار الوشم... يسالون الرجل مانارك؟... اوما سمتك فيقول كذا وكذا.

١٣ ــ نار القِرى ... وهي اعظم مفاخر العرب:ــ

له نار تشب بكل واد

اذا النداية ألبست أقناعا

١٤ ــ نار الحرثين... ببلاد عبس وتسمى حرة (الحدثان) أطفأها الله تعالى بخالدين سنان العبسي (مثلهم كمثل

الـذى استـوقـد نـارا فلما اضاءت ماحوله... ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لايبصرون).

ونـشأة تلك الخرافات والأساطير كما قلنا... لم تنفرد على آثار البيـئة الجغرافية أو البيئة الاجتماعية... وانما امتزجت وتداخلت (بعمـليـات خـلط) متتابعة من الحضارات القديمه ظهرت آثارها النـفـسية والفكرية وظهرت معها تلك الدعوات وكأنها قد تحولت الى عـادات أو مـعتقدات محلية (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الألباب):

١) فكانت أخبار آدم وحواء والحيّه.

٢) وكانت أخبار هابيل وقابيل والغراب.

٣) وكانت أخبار سفينة نوح وابليس والحمار.(*)

٤) وتـولـيـفـات الـتـوراة وفـلـسـفـات زاردشـت والمـازديين والـبـراهمـة.. وكـانـت رحـلات (الحـوارث والجـراهمـه والـتـبـابـعـة) وغـزواتهـم المـتـتابعة برا وبحرا الى الاقطار البعيدة والأمصار ذات الفوائد والمنافع امر قد يصل الى حـد المبـالـغة والتهـو يـل.. ولكن ذلك لاينفي وجودها ابدا.

٥) وفـلـسفات حكماء اليونان والهند والاسكندرية... ومنها بـدون شـك (نـظـريـات ديـسـوقـريـدس وابـو قـراط وجـالـيـنـوس)... الـخ... ولـكـن بـشـكـل (مـشـوش) وغـامـض... يـتـخـذ أشـكـالا وألـوانـا مـن المـعـتقدات (الخليط) حسب الظروف والأحوال (كما سوف نرى).

(*) لها قصة قديمة متوارثة .. وهي سبب التشاؤم من الحمار.

فشلا... كانوا يدينون بالولاء الدينى والدنيوى (بعد الرئاسة) الى الكهان والعرافين والمنجمين ومايقال عنهم (انهم احذق الأطباء) مثل حذيم ولقمان والحكيم.. ولا يستعينون بالأطباء في أمور الشفاء (بأنواعه)... الا في حالتين (الوقاية وشئون النفس الداخلية).. ولكنهم لم يعطوها ماهو متعارف عليه من اسماء عندنا (كالصحة النفسية أو العقلية أو التربوية) الخ.. وانما عبّروا عنها بشيئين... الأول ان يكون هناك (مصدراً) يلوذون به عندما يفشل الشفاء الطبى وأمراض البدن واعضائه... والثاني أن يكون ذلك المصدر هو (الملاذ الأخير) لما في نفوسهم من بلبال... ولما في قلوبهم من هموم... ولما في عقولهم من هواجس غامضه. فبرز منهم الكهان والعرافون ورواة الأخبار واصحاب الخبرة والتجربة الخ نذكر منهم (شق بن صعب بن يشكر بن نزار) الذى يقال انه ذو شق واحد وعين واحدة و يد واحدة الخ... وسطيح كاهن الشام... أوكاهن اليمن (ربيع بن مسعود بن مازن بن غسان) الذى يروى عنه ان وجْههُ في صدره وليس له عنق ولاراس وهو دائم النوم على ظهره الخ.

والكاهنة اليمنية (طريفة الخير) وعمران كاهن اليمن... وجمرة الكاهن. وغبراء وعفيراء الحميرية وفاطمة بنت مر الخثمعية... وهن من المشاهير.

ومثلهن (قبة الديباج) خالده بنت هشام.. وكانت من حكيمات العرب المرموقات في الجاهلية. ومثلهن (سعدى بنت كريز).. وكانت كاهنة فصيحة ومن الفضليات في الجاهلية.

أثر العلاقة :

وكان للرومان (في تلك الفترة) اسلوب جديد في معاملة أبناء البلاد الذين هم ليسوا من أصل روماني.. وبديهي أن ينعكس ذلك الاسلوب في المعاملة على المجتمعات العَرَبيّة والأقطار النائية... ومنها بلاد شبه الجزيرة العربية آنذاك... فقد بدأت تشهد (اثاراً استعمارية) لم تألفها من قبل... فبقدر ماكان تعاملها مع الفرس تعامل الجوار للجوار.. بقدر ماكان تعاملها مع الروم بخشونة وترف واستهتار:

أولا : لأن طباع الرومان العسكرية... كانت شرسة لا تتفق وأخلاق ابناء الصحراء.

ثانيا : وقد انتقلت تلك الطباع من محيط البحر الأبيض المتوسط (الشمالى) الى المحيط الشرقي والجنوبي... وكأنها تتعامل مع محيط واحد ومجتمع واحد (شبيه بالمجتمع اليوناني).

ثالثا : وهذا خطأ فظيع ... ارتكبه الرومان بدون روية أو تمييز.

رابعا : وخطأ أفظع ... ارتكبوه في حق تلك الشعوب... اذ حاولوا تقسيمها الى طبقات كطبقات الرومان... سادة وعبيدا.

خامسا : وحاولوا (تطبيع الديانة المسيحية) لصالحهم على مر السنين والأيام.. فبعد أن كانوا يحاربونها

و يقـاومونهـا... تحولوا فجأة الى جانبها (لاحباً بها) (أو تـكـرعـا لها) وانما ذريعة لحب السيطرة والشهوة والانتقام.

سادسا : وبـديهي أن تستلخص مجتمعات شبه الجزيرة (من تلك الـصـراعـات) فـوائـد ومنافع.. ولكن بقدر ماجاءها من عنت وشر وسوء أخلاق...كانت العبرة والموعظة.

سابعا : فكانت مفتاحا جديدا لابواب مقفلة... ومهمازا جديدا يهيئ النفوس والعقول والافهام لدين جديد... وأصلاح جـديد... على يده تمت الضربة القاضية وفتحت آفاقاً جـديده قلبت موازين العقل والمنطق لافي شبه الجزيرة العربية وحدها وانما في العالم كله.

ثامنا : فاذا كـان الـوضـع فـي شبه الجزيرة العربية على ذاك الحـال... فـهـل مـن الـعقل أن نطالبه بمبادرات للتقدم المـتـطـور وهـو مـظـلوم؟... أم هل من المنطق أن نتهمه بـالـتـخـلـف وعـدم الـتـفـرغ وهو لم يكن سببا في ذلك التخلف المقيت؟.

تاسعا : انها ورطة السياسة والجيش (وانعدام الاخلاق) في كل مـكـان وزمـان... فـلا مـكـان لـلـعـقـل... ولامـكـان لـلـمنطق... ولا تفرغ للتقدم أو التطوير أيا كان نوعه... حتى ولو كان في ميدان الصحة والمرض... وحتى ولو

كان في ميدان الطب والعقاقير.. افبعد هذا نتهم انفسنا؟!... (أنظر الصور ٥،٦).

يذكر عن الفيلسوف اليوناني (أبولو ينوس دوتيان) أنه عاش قبل المسيح وقد جاء الى بلاد الشرق وتعرف على بابل وفارس والهند... وأنه رجع بعدها الى أوربا بمعتقدات شرقية يقال عنها أنها (سحرية) وتوصف بأنها تحمل قوة قاهرة. و يذكر عن المستشرق اليهودى (يوسف هالفي) ومثيله اليهودى (يعقوب سافير) أنها زارا بلاد اليمن... ثم نشرا أقوالهما عن النقوش التي وجدوها في منطقة نهر (خرد) في الجوف الغربي الجنوبي.... حيث وجدا حصونا عظيمة واسوارا وابراجا ومعابد في مدن (براقش والسوداء وقرناو)... استخلصوا منها أنها تدل على ثقافات عالية للحضارات السبأية والمعينية... وانها كانت صناعية مشهورة.. وقد وقعت على الخطوط التجارية القديمه من (قنا) في مهره الى (ظفار) ومنها الى قتبان ومارب في الجوف.

عاشرا: ويقول صاحب الأغاني (لما ظهرت الروم على اليهود فوطأوهم بالخيل والأقدام.. وقتلوهم ونكحوا نساءهم وشردوا ذراريهم.. خرجوا هاربين هائمين الى سيناء وصحراء العرب).

احد عشر: اما عن العيسويين فيقول (شبلنجر) قولا اخر (كان الكهنة أعضاء في كلية الكهنوت التى تأسست في عهد الامبراطور بومبيليوس الاسطورى). وكانوا

امتدادا للمنداوين ولتلك الخرافات التى تتعلق بالولادة وأصل الانسان مثل اسطورة الروح الشريرة. (انكيوباس). وكيف تتقمص النساء أو العفريت (ساكيوبا) الذى يتجسد المرأة ليلا.. الخ

اثنى عشر: اما عن الكلدانيين فكانوا يطلقون على حرفهم اسماء فلكيه.. يذكر عنهم (لوكريتوس اليوناني) اسما مستمدا منهم (وان كلمة كلداني لا تعني التنجيم فقط. وانما تعني السحر والتنبؤ بكل شيء خفي).

واشتهر من اولئك الكهنة والسحرة والأطباء. في جزيرة العرب (رباح عن عجله) وعراف نجد (الابلق الاسدى) وقس ابن ساعده في نجران. (وشق ابن انمار) وسطيح بن مازن مابين اليمن والشام.. والكاهنة اليمنية (طريفة الخير) وكاهنة عبد المطلب الهاشمي المشهورة (كاهنة بني سعد) الخ.

ولكي أبسط الموضوع أكثر واجعله قريبا الى الافهام.. فاني استشهد بكلمات عادية لازال اغلب الناس يتعاملون معها عفوا.. وبدون أن يعرفوا اسرارها. الى يومنا هذا.

الكلمة الأولى هي كلمة (تطهير) Catharsis وهي في عرف المجتمع العيسوى تعني تطهير الروح

من الدنس والخبائث.. وكانت عمليات التطهير تتم في أوقات انتشرت فيها امراض النفس.. ايام الصراع العيسوى الموسوى وأيام الاضدهادات الرومانية القديمه.

اما الكلمة الثانية فهي كلمة (ويسكي) المتداولة بشكل مألوف تجاريا واجتماعيا.. وعند تقصي حقيقتها نجد انها (مربوطة بياء النسبة). أى أن الكلمة الأصلية هي (ويسك) whisk وتعني مكنسة الساحر. (ومكنسة الساحر هذه) مستمدة من الأساطير العيسوية القديمة (انظر الجزء الثاني من هذا الكتاب)... ومثلها (الصليب المعقوف) swastika وهو رمز (الحظ السعيد). الخ.

مدخل علمي وفكرى في اعماق الجزيره العربية قبل الاسلام

من العبث أن اضع امام القارئ كلمات غامضة وهو في حاجة الى الصراحة.. الصراحة الطبيعية التى كان عليها ابناء شبه الجزيره العربية.. ومن العبث ايضا ان اجعله أمام الغاز فرضتها علينا المقارنات الأدبية والجغرافية والعلمية في هذا العصر الجديد. فأحسن طريق نافع وأمثل سبيل مفيد هو الحوار المنطقي الهادف والذى سوف يصل بنا وبدون شك الى المواقف والأغراض التي ننشدها.

فهناك كلمات جديدة واصطلاحات حديثه جاءت مع هذا العصر الذى نعيش فيه ومن الأفضل أن نعرف ماهي. وكيف كانت أصولها في الماضي. وأقرب مثل نضعه أمامنا هو كلمة (الحرية) وكلمة (المجتمع). ترى هل نفهمها فهمها الصحيح؟. من الجائز أن نعرفها كاملة. ومن الجائز ان نعرفها مجزأة. ولكن في نفس الوقت قد لانعرفها أبدا. فالأمر يعود الى (النسبية في الوعي والادراك). اى.. ان الموضوع ماهو الا موضوع مقارنة ناقصة أو غامضة. غالبا مايكون مبتداها مابين (احساس فرد وآخر) تنتهى على الأغلب الى مقاييس ومعايير مابين مجتمع وآخر.

قد نعرف هذه التعابير وهذه التعريفات كاملة. وقد نعرفها مجزأة. وقد نخطى في تلك المقاييس تماما.. اذن فما هو الموقف المؤكد؟. ببساطة.. الموضوع متطرف لايقبل الامور الوسط. فأما

(سلوك مثالي). واما (سلوك متحرر). اى انه بلا قيود.. وشيء عجيب أن أقول بأن عصرنا الحاضر لاتجد (المثالية) فيه الا عند الأمم والمجتمعات التي يطلقون عليها (بدائية). اما المجتمعات المتقدمة (في عرفهم) فهي تلك الشعوب الحره وغير المقيده.. ترى ماهي الأسباب وماهو السر وراء هذا؟.. اغلب ظني أنها تعود الى أمور نسبية كما ذكرنا:—

١) فأما الى المفهوم الخاطئ لمعاني الحرية.

٢) واما الى المفهوم الخاطئ لمعاني المثالية.

٣) واما الى الفهم الخاطئ لمعاني الفرد.

٤) واما الى الفهم الخاطئ لمعاني المجموع.

وسر الاسرار في كل هذه المواقف يكمن في شئ واضح:. واضح جداً لأنه لايتعدى التمييز مابين صفات الانسان والكائنات الحية الأخرى مثل:—

١) عقل الانسان وتفكيره.

٢) لسان الانسان وتعبيره.

٣) نفس الانسان وشعوره.

٤) ذات الانسان وسلوكه.

فهل أخطأنا ياترى؟: ابداً.. فهذه هى اركان العلم الحديث. واذا كان هناك فارق مابين مفاهيم العصر الحديث ومفاهيم العرب

القدامي.. فما هو الا الفارق مابين مفهوم الفرد حاليا (ومفهوم الاسرة بالنسبة للعصر القديم).

فحرية الانسان بالنسبة لعصور ماقبل الاسلام كانت تعني (الاسرة) ومايحيط بها من عيوب وأخطاء اجتماعية. كانوا يسمون الصالح منها في اوروبا القرون الوسطى (بالفروسية) أو اخلاق الفروسية. اوجدوها نظاما لحماية الضعفاء والمرضى والمحتاجين من ابناء المجتمع. فلما جاء ابناء العصر الحديث غيروا تلك الأنظمة ولوثوها او دمروها فتحولت (النسبية) تلقائيا الى الفرد بدلا من نظام الاسرة والمجتمع.. ترى ماذا تعني هذه المقاييس المصطنعة بالنسبة لنا؟.

على مااعتقد انها تعني الكثير. وخصوصا لآولئك الذين لايعرفون طبائع العرب القدامي معرفة عميقة. فوحدة المجتمع الطبيعية كانت عندهم هي (وحدة الاسرة) وليس حرية الفرد الكاملة.ولما جاء الاسلام اكد ذلك النظام فصار دستورا سماويا حرم عليهم (بثلاث عشرة وصية) مايبعدهم عن العيوب الخلقية. ومايجنبهم ويلات الاخطاء الجسمانية والفساد النفساني والاختلالات العقلية فقال لهم بالأمر(حرمت عليكم امهاتكم الى آخره). ولم يعط لهم الخيار في ذلك مطلقا.

ترى ماهو الخيار؟.. انه سر (الذات) الفردية التى نتكلم عنها. أو هو غموض الرغبة والشهوة في عرف العصر الحديث. فلو تسائلنا ومادخل الحرية الذاتية بأمور الصحه والمرض فماذا يكون الجواب؟.. نقول ولاغرابة في هذا القول ان دخلها ينصب على امور (الفساد في الفرد) وعلى أمور (الاصلاح في المجتمع) وهو

موضوع واسع وحيوي في حياة الأمم والشعوب ولكن له عدة طرق اغلبها ماثل ويحتاج الى تعديل: مثلا:

١) طرق اللامعقول في العلم والمعرفة وفي الفقر والمرض والفساد الى اخره.

٢) ومثل طرق العقل والفكر واحتراف المهارات في العلوم والفنون والكيمياء والتجارة والأدب الى اخره ولسوف نتطرق الى جوهرها وتحليلها في سياق الكلام المقبل.

فبالمقارنة مابين شعوب الأرض نجد أن مبادئ التخلف والتقدم ماهي الا مبادئ مصطنعة لا تصلح لآن تكون مثار جدل أو نقاش.. وأن مبادئ القديم والجديد ماهي الا فلسفات مفتعلة قد يراد بها الدس أو التحايل. فالانسان مهما بلغ من قمة العلم فهو ثمرة ميزاج بين انسانين. وعقل الانسان كذلك مهما بلغ من قمة الكمال والنضوج فهو ثمرة ميزاج بين انسانين سوف نصل الى اسرار هذه الأمزجة من خلال سردنا للمواضيع الطبيه والصحية والعلمية التي سوف نتكلم عنها:

١) فاكثرنا يسمع بكلمات طبيه قديمه مثل (الطب الشعبي أو الموروث) Traditional كالطب اليوناني والطب الهيموباثي. والطب الروحاني الى آخره كما ان اكثرنا يتداول مصطلحات علمية حديثه مثل الطب النفساني والتنويم المغناطيسي وقرأة الكف وقرأة الابراج الى آخره ولكن أكثرنا في نفس الوقت لايعرف اصولها واسرارها وحقائقها.

وايا ماكان الأمر فأن معاني هذه الكلمات والمصطلحات يعود تاريخها الى أزمنة موغلة في القدم لايهمنا من تاريخها الا انها (موجودة) فلو لم تكن موجودة لما بقيت الى يومنا هذا بين الشعوب والأمم. ولايهمنا من حقائقها الا أنها ذات مفعول حيوى (حساس) فلو لم تكن ذات مفعول حيوى لما بقيت (وصفاتها) متداولة حتى الآن.

الذى يجعلني أقول هذه المقدمة المختصرة هو عدة أسباب:ـــ

أ) ان لكل بلد ولكل شعب في هذا العالم طب شعبي موروث. وكذلك له علاجات واشفيه محلية متعارف عليها. منها مايخص النساء ومنها مايخص الرجال. ومنها مايخص الأطفال ومنها مايخص الحيوان. ومنها ماهو شامل وعمومي في استعماله.

ب) وعندما أقول (محلية) فلا يعني هذا انها لم تكن خليطا او ميزاجا مكتسبا او مقتبسا من خارج الحدود.

ج) ابدا.. فالمعروف والمألوف تاريخيا وعلميا ان كل أنواع الطب الشعبي (قديمها وجديدها) كانت خالصة اللحمة. اى انها تحمل صورة المجتمع لذلك الشعب. او صبغة ذلك المجتمع لتلك الأمة.

د) وهناك ماهو اكثر. فعملية الخلط والمزج هذه ماهي الا جوهر السر. فهي التي يجعل للطب الموروث في

النفوس وقعا واثرا.. وهي التى يجعل في الافهام والمدارك تقبلا اكثر للماده الخام او الوصفه.

هـ) وهذا الوقع النفساني أو الأثر الحسي لاأقول انه يرتفع بمفعول الوصفات الشعبية الى أعلى فقط.وأنما أؤكد بأن مفعولها لايقل عن ٥٠٪ من عملية الشفاء وهو امر مرغوب لدى الاطباء.

و) اذن ولهذا السبب وحده فأن مفعول الطب الموروث أو الوصفات الشعبية لاتجعل للمادة الخام سمعة طيبة فقط وانما تدعو الى مظاهر الاقبال لذلك الطبيب أو لذلك العطار وخصوصا اذا كانت تلك الدعوة ثمرة خبرة وتجربة.

ز) ولعلمك ايها القارئ لاشيء يؤثر في النفوس والمجتمعات البشرية حسياً كالخبرة والتجربة.وهو أمر ليس حكرا على امة دون اخرى بل هو صبغة بشرية مشتركة. فعندما مايكلمك فلان عن هذه الاعشاب والنباتات أو تلك الوصفات المتداولة فثق وتأكد مئة بالمئة بأنها في عرفهم صحيحة ولاغبار عليها (وسوف نورد نماذج عن هذا الموضوع في الكلام المقبل).

ح) فلقد نهض الطب الحديث نهضته العصرية بعد الحرب العالمية الثانية وأول مابدأ في الظهور دخل في صراع

خفي مع الطب الموروث. خرجت الكيماويات والمبيدات ومختلف العقاقير من الدول المتقدمة منتصرة. ولكنه عاد في السنوات الأخيرة الى التنفس من جديد فلماذا ياترى؟.. السبب هو ظهور علوم النفس وطرائق التحليل النفسي التي جاءت وكأنها علم جديد من مكاسب الحرب العالمية الثانية.

ط) فمن باب أولى أن يكون للطب الشعبي صولات جديدة. فقد أصبح هو أقرب الى النفوس وأقرب الى شفاء بلبال النفوس ولم ينكر عليه الطب الحديث ذلك حتى في الدول المتقدمة أو دول الكيماويات والمبيدات والعقاقير.

ى) من كل مافات يحق لنا أن نعيد التساءل من جديد (ماهو العلاج... وماهو الشفاء ومن هو الطبيب... ومن هو الصيدلاني... ومن هو العطار)؟

٢) اذن فان مفهوم الطب الحديث قد لايختلف عن مفهوم الطب القديم في المجتمعات البشرية من حيث التأثير ولكنه يختلف بالتعريف والمصطلحات والتخصصات. فبعد أن كان عاما محصورا في جسم الكائن الحي وتعديل اخطاءه الجسمانية أو تعديل مسار حيويته. صار شاملا للجسم والنفس والعقل معاً.

٣) اما عمليات العلاج فبعد أن كانت محصورة في مهارة الطبيب وشهرته تحولت الى تخصصات ورعايات واساليب متعددة منها ماهو صحي ومنها ماهو طبي ومنها ماهو تمريض.

٤) اما طرائق الشفاء فأمرها مؤلم اغتنم علماء الطب الحديث وعلماء الصيدلة الحديثة غفلة الاطباء الشعبيين والعطارين فاستعاروا منهم كل ادواتهم خلسة وكل موادهم الخام (الطبيعية) بدون اذن ثم صبغوها بصبغة عصرية وألبسوها مسميات جديدة. فلما انكشف امرهم تحولوا الى (المواد الصناعية الحديثة) لكي يداروا بها تلك الغفلة ولكنهم ظهروا معها بأخطاء واخطار جديدة على الحياة والاحياء.

٥) فعادت الى الظهور (الابرالصينية) وعاد العلاج الطبيعي. وعاد الكي واستخراج الدم من الجسم وقس على هذا.اللهم الا الجانب الجراحي واسرار الخلية فقد اختلفت عما كانت عليه مفاهيمها في الزمن القديم... انظر الصورة رقم (٢٤) و(٢٨) و(٣٠) بمافي ذلك بلاد الغرب.. خذ مثلا نبات اللبلاب IVY فماذا نجد؟.. نجد انها قد تحولت الى أسطورة من عهد ابقراط الى يومنا هذا.

١ ــ الخشب منها يستعمل لامراض الرئتين.

٢ ــ والمادة الصمغية وفيها غازات طياره Aroma تستعمل لتنشيط الرحم وتنشيط الدوره الدموية وخلل الحيض عند النساء.

٣ ــ اما الاوراق متى مزجت بالنبيذ أو العسل فنافعة لصداع الشقية ولتنظيم الحيض المختل عند النساء وكذلك لحالات الاجهاض.

٤ ــ اما عند الأطفال فتستعمل لعلاج القروح والقوباء والسعال الديكي وبعض التهابات الحلق.

٥ ــ واما المحاليل منها فتستعمل لمنع الحمل عن طريق المهبل.. والمساحيق منها لعلاج الزوائد الأنفية بعد استنشاقها.. وعندما تطور بها الحال صارت تشرب على شكل مشروب الشاى مفيد في علاج حصوات الكلى والمثانة والمراره.

٦ ــ ولم يقف الأمر عند هذا الحد. بل تحولت الأسطورة العشبية الى اعمال فنية وشعرية.. انظر الصورة (٢٣ أ) فعند العودة الى المقارنة مابين الماضي والحاضر.. نجد ان امة العرب بالنسبة لتلك الأمم خالية من الوصمات والعيب اللّهم الا اذا اعدنا النظر في احوالها من جديد.. وعلى هذا تقيم الاعتبارات الاجتماعية التى كانت سائدة في تلك الأوقات.. ساعتها يحق لنا ان نقول بان تلك الاعتبارات الاجتماعية هي التى حددت المعالم والحدود للأعتبارات العلمية والفكرية..

١ ــ فأثر القوى البدنية الطاغية على الحضارات العربية القديمة قد استبعدت الى حد ماأكثر النواحى الفكرية

والعلمية اللهم الا في الفراسة وموهبة الذكاء الفطرى.. ونقول فطرى لانها فورية في الاستعمال ولا تسجل.

٢ ـ وان استبعاد امور الفكر في التطبيق والشفاء من حياة الفرد العربي القديم قد جعلها تصبح في مرتبة ثانوية بالنسبة لحياة الاسرة والعائلة.

٣ ـ اللهم الا في ناحيتين صحيتين كانت اكثرها ملامسة لحياة الفرد والأسرة.. انها آلات الهضم ومايدخل في حدودها من خلل على طاقة الانسان وعافية بدنه.. وآلات التناسل والتركيز على الجنين كعنصر من عناصر امتداد الحياة والأصالة العرقية ضد أى دنس أو فساد.

٤ ـ ربما أن الدساتير الاجتماعية السائدة في ذلك الوقت.. كانت مستمدة من محيط البيئة وظروف المعيشة كما قلنا.. فقد كان للأمة العربية ذاتها روابط طبيعية نوعية حددت معالم الشخصية العربية وقيدتها بقيود قوية.

٥ ـ قيود اجتماعية طاغية. اولها شرف العرق من الفساد على الارض.. وثانيها قدسية العقيدة من السماء.

٦ ـ فدساتير العفة والحياء الطبيعي ودساتير السلالات

والنسل والأنساب قد اصبحت سائدة على كل المهارات والفراسه والذكاء بما في ذلك الأمور العلمية والامور الفكرية..

٧ ــ فأصبحت آلات الهضم وأجهزته هي محور كل شيء تلقائيا.. الفقر وويلات الحياة من جهة... والغنى والترف من جهة.. والتجارة والفساد من جهة.. كلها منطلقات حيوية جوهرية اصبحت طبيعية لا تكلف فيها... وامور تلقائية تحدد معالم الاهتمام بالطب والقبالة وتربية الاطفال.. ومعالم الاهتمام بامور السعادة والصحة والعلل.. ومعالم الاهتمام بلأدوية والتطبيب والشفاء.. انظر الصور رقم.. (٢٠ ــ ٢١ ــ ٢٢ ــ ٢٣).

تقول المستشرقة الألمانية. زيجريد هونكه.. (والواقع ان الطب احتل مرتبة ثانية من برامج الدراسات في الاديرة.. وكان ترتيبه يأتي بعد علمي الرياضيات والطبيعة.. وعلى هذا فإن الطب الروماني لم يأت بثقافات طبيه من عنده. وانمااعتمد لاعلى الترجمات الغامضة والشروحات اليونانية فقط وانما على البيزنطية ايضا. وكان هذا الارث المتبقى من أيام القدامى هو الغرسة التي اينعت واثمرت بفضل العرب.. وكان بوسع هذه الغرسه أن تعرف الربيع في عهد الرومان والاقبال الذى كان عند ابناء العرب من بعدهم).

امتداد القنطرة الثانية

وتلخيصا لما فات نقول:—

لقد تكلمنا في المقارنات السابقة عن الأفات والعلل والأكدار. وماهي مفاهيمها بالنسبة لتلك المجتمعات.. اما الآن فقد جاء دور (الصحة والشفاء) وكيف كانت أموره. ولااستطيع سرد واقعها بالتفصيل وانما اكتفي بالايجاز (وضرب الأمثال).. وأكاد اقسمها الى قسمين:—

القسم الأول   أمور ذاتية وأمور غير ذاتيه.

القسم الثاني   أمور طبيعية وأمور غير طبيعية.

الذى اقصده (بالذاتية) مايتعلق بتكوين الذات العربية وتركيبها. غريزة وسلوكاً.. وقد سبق وشرحنا ذلك.
والذى اقصده (بغير الذاتية) مايتعلق بالمحيط والبيئة (وشخصية المجتمع) وقد ذكرنا ذلك بالتفصيل.

اما مااقصده (بالطبيعيه) فكل مايتعلق بالأجواء الجغرافية والأنواء الجوية الحرة النظيفة وغير الملوثة.

واما ماقصده (بغير الطبيعية) فذاك المزج والتركيب (اوالخلط) مابين الأصيل والدخيل من الأجناس البشرية والبضائع التجارية من جهة والحيوانات البرية والبحرية والجوية من جهة ثانية. وقس وعلى هذا الشكل.

ان بيئة عصرنا الحاضر ليست هي بيئة الشمس والمطر والصواعق والرعود فقط. وانما هي بيئة السيارة والطيارة والمصعد والمكيف.. السيارة جعلت من الانسان ان يغير من طبيعته خارج البيت.. المكيفات غيرت من طبيعة الانسان داخل البيت.. والعقاقير الطبية اصبحت بلا مفعول قوى على اجسام الناس المشبعة (بالسموم). الى درجة اصبحت فيها (فترة التكييف والأقلمة).. Critical Range of orientation قصيرة جدا بل حساسة.. لاابالغ اذا ماقلت بانها انقلبت ضد سلامة الانسان وضد صحته.. وبمعنى اوضح.. اذا كان هناك من شيء نلومه او نعيب عليه.. فهو انسان العصر الجديد وليس انسان العصور القديمه.

يقول الباحث الاستاذ (بانرمان) من خبراء منظمة الصحة العالمية ماموجزه:

ان اسرار الطب المتوارث منذ آلاف السنين لازالت تستخرج لاستقطاب كل القوى الكامنة في جسم الانسان وتجميدها

لصالح الرعاية الصحية. وعلى وجه الخصوص في مناطق الريف والقرية.

ففي الأعوام ١٩٧٢ ــ ١٩٧٤ ــ ١٩٧٧ ارسلت عدة اسئلة وظهرت عدة توصيات لافي ميادين الفوائد والنتائج لهذا النوع من الطب فحسب.. وأنما في ميادين النبات والمعادن والحيوان ايضا وقد جاءت عدة ايجابات من الشرق الاقصى ومن افريقيا الاستوائية ومن امريكا الوسطى وبلاد الهند فكانت مذهلة للعلماء والباحثين المعاصرين. أنظر الصوره رقم (٧) و(٩).

انموذج مما ذكرناه

الفضل للدكتور الياباني (فوجيتا) الذى أعطانا بعض الملامح عما يسمى في الصين واليابان بـ(كيورو ــ ياكي) وهي عملية من عمليات الطب المتوارث كان مستعملا منذ آلاف السنين ولم يفقد سطوته الى يومنا هذا وان كانت التشريعات الحديثة قد منعته من التداول.

هذا النوع من الطب والشفاء يعتمد على استعمال المحروقات من الحيوان والحشرات والنبات التى قد يصل عدد انواعها الى مايقرب من ثمانمائه نوع (٨٠٠):

١) لايوجد لتلك الطرائق اشياء مكتوبة ولا تفسيرا علمياً.

٢) والأطباء القدامى يسلمونها الى ابنائهم بدقة ومهارة واتقان بكلمات متداولة من الفم الى الفم.

٣) وكقاعدة عامة تتكون من عدة اشياء:

أ) وعاء غير مطلي من الفخار أو الفولاذ و يقسم الى قسمين:
ب) توضع فيه المادة الحيوانية أو النباتية المختارة.
جـ) و يأتي بالوعاء يقفل ويختم بورقة مبللة و بالطين.
د) و يسخن هذا الوعاء لمدة معينة تعتمد على نوع المادة. وغالبا ماتصل درجة الحرارة الى ٤٠٠ درجة مئوية.

هـ) حتى تتحول جميع السوائل الى غاز وتطرد جميع الغازات الى الخارج.

و) يزاح الوعاء من فوق النار و يترك فترة من الزمن ليبرد قبل فتحه.

ز) و يقول الاستاذ (دو بوتسو ــ سياكوا) في معهد الابحاث الياباني في طوكيو بأنه ظهر من التحليل الكيماوى والحيوى لتلك المواد المتفحمة كثير من الشك والغموض.

بعضا من الانواع المختارة:

١) نوع من سرطان النهر الصغير (river-crab)

٢) نوع من الافاعي السامة (vipers......)

٣) نوع من قرون الوعل (Antlar......)

تستعمل شعبيا على أنها ذات مفعول يقارب مفعول (الصلفانامايد) او المضادات الحيوية وكذلك للأورام الخبيثة. وجرعته تقارب جرام واحد بالفم يأخذ ثلاث مرات يوميا. وكذلك يساعد في دعم المقاومة العامة للجسم
(Body-Resis-Tance)

ووصفة أخرى تتكون من غرام واحد من ريش الك (طلاء معروف) وحبوب ثمرة الخوخ والراوند. تخلط وتعمل على شكل حبوب متجانسة (Homogeneous) وتستعمل في شفاء مرض الدرن وخصوصا درن العظام وتأخذ حبة واحدة يوميا.

ووصفة اخرى تطحن كميتان من شعر الانسان بعد حرقهما وتحويلهما الى رماد. ويستعمل هذا الرماد في كثير من أمراض النساء. الخ

وللتدليل على حقيقة المفاهيم (قديما وحديثا) فأني سأكون على صواب عندما أنقل صورة مما هو معمول به (حاليا)... في بلاد متمدنة ومتحضرة... شرقية وغربية وسوف أكون على حق عندما أقطع الطريق على (الجدل الحديث) والذى لايعالج إلا جزءاً من الحقائق الموروثة.

أ) يقول استاذنا الجليل حمد الجاسر أمد الله في عمره (أن العلم لايصح أن يمتن به... لأن كل انسان على ظهر البسيطة له أن ينال نصيبه منه كاملا غير منقوص.. اذ هو تراث جميع الأمم... لاتختص به أمة دون أخرى... ولهذا فأن كل أمرئ من أى أمة من أمم العالم له فيه حق).

ب) وتقول الابحاث العصرية في مختبرات الجيش الأمريكي (بعد الحرب الكونية الثانية) أن في حياة الانسان (يومان) من شدة التداخل فيا بينها... ولايقدر المرء على التمييز مابين مقاييس الحياة. فهناك (اليوم الحيوى Biological-Day) ... وهناك (اليوم الاجتماعي Social-Day) ... وأن هذين اليومين يتحكمان في حياة الانسان (المصطنعة) والتي يمارسها في عصرنا الحاضر بلا شعور.

جـ) فجرد نظرة واحدة الى (الوصفات الطبيعية) التي سوف نذكرها تكفينا لآن نعرف (نوعية الشعوب) التي تتعاطاها. كما تدلنا الى (تكوينها الجغرافي) ومدى العلاقات والروابط الحيوية والاجتماعية التي تربط مابين سلوك الافراد وعادات الجماعات. و يقول أحد خبراء منظمة الصحة العالمية (الدكتور اوكور أمبوفو) لقد اعجبت بالطب الموروث في أفريقيا... وكباحث يرغب تقصي الحقائق عنه... توصلت الى صداقات طبية مع اثنين ممن يتعاطون طب الأعشاب (Herbalist) فبدأت اتجول معهم اسبوعيا داخل الغابات... وتعلمت منهم الكثير.. وبما يقرب من (مئتي نبته) ذات أثر فعال. فمن الناحية العلاجية والشفاء حدث أن تورطت احدى القابلات العصريات Midwife في حالة من حالات الولادة ذات النزيف غير الطبيعي.. ركضت مسرعة لسيارة أجرة حتى تنقلها الى عيادتي... وماشد

دهشتي ودهشتها عندما عادت الى مكان الولادة فرأت أم الرضيع تنظف رضيعها... وأن النزيف قد توقف بواسطة واحد ممن يتعاطون طب الأعشاب.

وحدث مرة أن طلبت منا دائرة الصحة العامه أن نعمل حمله لمقاومة (دودة غينيا) G-worm وكانت الى العهد القريب تعالج بالبنسلين (بروكايين) ومشتقات من العقاقير العصرية:

أ) قسمنا الحملة الى فئتين.

ب) فئة تعالج المرض (بمغليات الجذور) لنبات يدعى (كومريتم ــ مكروناتم) Dedoction بجرعة لا تتجاوز ٣.ر جم لكل (كيلو من وزن الجسم).

ج) وفئة تعالج المرضى (بمغليات الجذور) لنبات يدعى (ميثرانا ــ ستيبولوزا). Dedoction وبجرعة لا تتجاوز ٠٦و٠ جم لكل (كيلو من الوزن).

د) وبدأت متابعة الفحص والعلاج اسبوعيا وكانت النتائج مدهشة.. وصلت الى نسبة ٩٧ر٧٪ فقد التأمت الجروح تماما بعد اسبوعين... ومع استعمال (زيت الجوز المعقم). وكانت النتيجة مدهشة

فقد دمرت أو (قذفت) الدودة تماما وثبت بالتجربة أن هناك نباتات اخرى غيرها نافعه.. مثل:ــ

أ) اليوفوربا ــ لاتيفوليا... عندما يستعمل (مخلوطها) بطريقة معينه تشكل قوة قاتلة لدودة غينيا ولطفيلي الفيلاريا.

ب) وشوهد بالفعل.. أن امراض الجلد والتهابات الطفيليات وأمراض الحساسية ينقع معها (زهر النبات) المسمى (هو سلانديا المضاد) كما ينفع معها (لوز الكولا الاحمر) Red-Cola-Nuts يمضغ ثم يوضع على الجروح مرتين يوميا فتبرأ بعد اسبوعين.

جـ) ومثلها (أوراق الجوافة) Guava-Leaves تطحن كمعجون مع ماده (الكاؤولين) أو الصلصال الأبيض Clay-Blanc مرتين يوميا فتبرأ الجروح بعد عشرة أيام.

وينقل عن الطب الصيني عادة موروثة... (تدل على مفعول الخبره والتجربة في النفوس)... فكلما زاد (عدد القناديل) على باب الجرّاح كلما زاد الاقبال عليه من الجمهور.. فكل قنديل يدل على خطأ جراحي، وكل قنديل يدل على وفاة.. ولم يتخلوا قط عن عادات تقليدية تعتمد على أحياء طبيعية بحته:ــ

١) كلحوم الضباع والذئاب والافاعي والحمير الوحشية الخ...

٢) وجنين الغزال لأمراض النساء. ٣ ــ ٤ جم يوميا.

٣) وتغيير الاجواء والأهوية الطبيعية(اضافة الى نوع الغذاء).

(من البر الى البحر.. أو من البحر الى البر.. أو من البر الى البر وهكذا).

٤) القواقع البحرية لأمراض جهازالتنفس (٢ــ٣جم يوميا)

٥) ثمرة الجوز لمرض السيلان وامراض المثانة.

٦) عضاية الضفدع علاج نفساني ضد الجن والشياطين

٧) وحشرة الماجوتارو ٢ ــ ٣ جم يوميا.

٨) عرف الديك للصــــرع

٩) السنجاب لسلس البول ٢ ــ ٣ جم مرتين يوميا.

١٠) الفأره للجرب ٥ ــ ٦ غم مرتين يوميا.

١١) دماغ القرد (للزهرى وخلل المخ وأمراض النفس)

١٢) لحم الافعى + قرن الوعل + السرطان = كلها وصفة واحدة للسُل والامراض الخبيثة والقوباء والالتهابات الحادة.

ووصفة اخرى مزاج من ثمر اليقطين الأبيض وغير الأبيض وبنسب متساوية. تستعمل سفوفا من ٢ الى ٣ غرام ثلاث مرات يوميا لآلام الكلى.

ووصفة اخرى دماغ القرد المتفحم يستعملونه هناك ضد مرض الزهرى وفي حالات معينه من أمراض النفس.

مقارنة

ولنعد قليلا الى الوراء ثم لننظر الى خريطة العالم فلسوف نجدها مقسمة الى مناطق محددة تبعا لحرارة الشمس واشعة الشمس وتبعا لقربها وبعدها عن خط الاستواء وقربها وبعدها عن المناطق المتجمدة. ترى.. الا يؤثر هذا التقسيم الجغرافي على المحيط والبيئة؟.. بدون شك أنه يؤثر وعندما نقول أنه يؤثر فأننا نعني (تأثيره على الكائنات الحية) أى النباتية والحيوانية والطيور والأسماك وكذلك الانسان.

ولكن عندما نحدد (الانسان) فاننا نعني تمييزه عن تلك الكائنات الحية لابالعقل والمنطق فقط وانما بالحس الجسماني والسلوك النفساني كذلك.. الا ترى انها تتغير وتختلف بأختلاف الحرارة والبرودة وبأختلاف الصحارى والوديان والجبال وبأختلاف غزارة الأمطار وجفافها؟.

ولماذا نذهب بعيدا. فلننظر الى امراض اوروبا الشائعة هل تراها كما هي في المناطق الاستوائية؟ قد نجدها ولكن بنسبة اقل مما لو قورنت بأمراض المناطق الاستوائية. والعكس صحيح مع الأمراض الشائعة في المناطق الاستوائية. وعليه يحق القول بأن أمراض الجزيرة العربية في تلك العصور قد كانت ولاشك تتدور في هذه الدائرة:.

١) فاذا كانت امراض المناطق الباردة في بلاد اوروبا ينطبق عليها ماتكلمناه سابقا. فأن أمراض البلاد العربية ستكون مقاربة الى امراض المناطق الحاره أو الأجواء الحاره.

٢) وبمعنى وأوضح ليس من العيب أن نجد اختلافا في وسائل الشفاء وانواع العقاقير والعطاره عندما تختلف عن مثيلاتها في بلاد اوروبا.

٣) وليس من العيب أن يتأثر جسم الانسان ونفسه وعقله بتلك المتغيرات من المحيط والبيئة.

٤) وبدون شك ان النشاط الجسماني والجهد الفكرى سينصب نسبياً على الحياة البدنية والحياة الفكرية ايضاً.

فمثلا هل من الحكمة أن نقارن بين تصاميم مساكن الاوروبيين ومساكن المناطق الاستوائية؟.. ابدا فالتصاميم تختلف باختلاف الاوضاع الاجتماعية التي تأثرت بالعوامل الجغرافية والأجواء المغلقة والتقلبات الحرارية..على عكس المناطق الاستوائية وماجاورها فهي اقرب ماتكون الى الاجواء الطبيعية المفتوحة وغير المغلقة.. وبدون شك فأن نوعيات الأمراض وطرائق شفائها ستكون تلقائياً متناسبة مع نوع حياة الانسان التي يمارسها في منطقته المفتوحة وجوه الاجتماعي المفتوح.

ولقد استمد اولئك الأقوام كثيرا من طرائق الأشفية وكثيرا من العلل والافات مستخلصة من اختلاطهم للكائنات الحية التي تعيش معهم أو الكائنات النباتية التي تنبت حولهم. وقد جاءت تلك الخبرات معززة بالدليل والبرهان على أنها دراسات (احياء) نطلق عليها علم الاحياء في العصر الحديث.

فعندما نضرب الأمثال عن حياة ابن الصحراء مثلا ونقرنها باستعمال مادة القطران المتداولة حينئذ بكثرة. فلا نستبعد من الاذهان انها تتمشى مع واقع الحياة التى كانوا يعيشون فيها. تماما كما هو الحال مع حليب الخيل أو حليب (الأتان) او بول البعير أو سموم الافاعي او جرعات المسك والعنبر أو قشور الخنافس والعقارب الى اخره وكما رأينا في الأمثلة والوصفات الشعبية السابقة.

وهاهم علماء العصر الحديث يرجعون الى الطب الشعبي والدراسات الشعبية تلقائيا ولكن بدون ان يذكروه اسماً. فمثلاً:ــ

انهم يتساءلون مثلا عن عيون القطط لماذا لا تكون حادة النظر إلا في الظلام؟ و يتساءلون عن الوسائل والطرق التي ربما يستفيدون منها لصالح الانسان. كما يتساءلون ايضا عن عيون الأسماك ولماذا هي تبصر في اعماق البحار اكثر من الانسان الذى فشلت عيونه في مجاراتها؟ وقس على هذا مع العرب في زمانهم.

فلقد توصل العرب في عصور ماقبل الاسلام الى عدة امور حيوية وجوهرية. توصلوا اليها من خلال حياتهم الطبيعية الحره ومن مجتمعهم المفتوح. وكانت مثيرة في زمانهم.. مثيرة للدهشة والتعجب مابين العلماء والحكماء والمفكرين واليك بعضا منها:

١) موضوع الوقت والزمن: يتجنى عليهم اى انسان يُنكر عليهم معرفتها وآثارها على حياتهم. فطول العمر وقصره عند الفرد قد ناقشوه في تلك الأزمان من عدة جوانب

ولكن بدون تحديد. ناقشوه لمعرفة الاثار والأسباب حتى اشارت تلك المناقشات الى ماتوصلوا اليه في امور الوراثة والسلالات ومفعولها على الانسان. والى مفعول الاطعمة والأغذية بجميع اصنافها والوانها كلحوم الطير والحيوان والى الآثار الطبيعية على حياتهم منها.. وكانوا يعبرون عنها تعبيرات مشوشة الأمر الذى جعلهم يقسمون حياة الفرد الى (مراحل) حسب سنوات العمر وحسب الأجواء وحسب الصحة والسقم وحسب المكان الذى يعيش فيه.

٢) وعرفوا كذلك مفعول الوزن على عمر الانسان وحياته.. وقد قارنوا ذلك بطول الجسم ومقاسات حجمه (قبل الموت) وكيف تتغير تلك الاطوال والأوزان بعد أن يتحول الجسم الى جثه لاحياة فيها.. اذ لاحظوا أن وزن الجثة يزداد بعد أن يتخلى البدن عن سر حياته وهي (الروح) وقد عزوا ذلك الى عدة اسباب هي مثار جدل ونقاش الى يومنا هذا.

٣) والروح نفسها كانت هي الأخرى مثار جدل طويل وعريض. امتد منذ عصور اليونان والسريان والفراعنة وجاءت لها أوصاف وقصص واساطير اقرب ماتكون الى الحيرة والغموض في تعبيراتها وبراهينها ولم يتوقف ذلك الجدل الا بعد أن جاء الاسلام بدستوره السماوى عندما قال (انما الروح من امر ربى).

٤) وكذلك مقاييس (القرب والبعد الجغرافي) قد ناقشوها وعرفوا اثارها على الرحالة في البر والبحر واثارها الصحية على البدن وعلى النفس.. كما عرفوا (ردود فعلها) وكيف تنشأ منها العلل والأمراض.. وكيف توصلوا بموجبها الى وسائل الشفاء. وفي اعتقادى أنها سبب من الأسباب المباشرة في اشارتهم الى تأثيرات المناخ والمحيط الطبيعي وتقسيمه الى قسمين (مناخ المدينة ومناخ الصحراء) وعلل المدينة وآفات الصحراء.

٥) كما عرفوا من الخبرة والتجربة مايقدمه الحيوان والنبات والحشرات من فوائد واضرار توصلوا بموجبها بالمقابل الى وسائل المقاومه والشفاء.. وكان مجمع الداء في عرفهم هو الجهاز الهظمي في الجسم استنادا الى مالمسوه من الخبرة والتجربة عنه:— أنظر الصورة رقم (١٧).

أ) فالجهاز الهظمي في عرفنا الحاضر هو مصدر الطاقة البدنية والنفسية والفكرية.

ب) والجهاز الهظمي في عرفنا الحاضر هو مصدر الفضلات الخبيثه والعفن والآلام.

جـ) وبما أن هذا المصدر هو الذى يتحكم بالنشاطين البدني والفكرى فلم يميزوا بين الكائنات الحيه الا بما يضر وما ينفع.. وبماهو فاسد وماهو صالح. وفي مقدمتها الانسان.

د) اذن فن هذا الجهاز تكشفت لهم أمور متعددة في (امور التجارة وأمور الزراعة وأمور البر وأمور البحر وكذلك أمور الصحة وأمور السقم) الخ.

٦) وكان العرب الأوائل يعرفون عقل الانسان على انه (النهى) ويحددونه بمرحلة النضوج الفكرى (اى الفقه والوعى والادراك). اما عن القلب فكان له في عرفهم معاني كثيرة يشترك مع العقل في كثير من الأمور ويشترك مع العلل الانسانية في كثير من الأمور. أى أنه وسط بين السلامة والسقم.. وهي في عرف العصر الحاضر احساسات طبيعيه تسبق الفكر والتفكير الأمر الذى يجعلنا نقول بأن العرب الأوائل ماكانوا خاطئين في تحديدهم وتعريفهم لتلك الأعضاء وخصوصا بعد أن عرفنا بأن المخ لايحتفظ بحياته مطلقا اذا ماتوقف القلب وغاب عنه الدم.

٧) وظاهرة من الظواهر الاجتماعية كانت ذات مفعول قوى على المجتمعات العربية قبل الاسلام. تحولت في ايامنا الحاضرة الى ظاهرة علمية لها قيمتها ولها وزنها.. وأعني بها مفعول الأدوية ومواد العطاره التي كانت تقاس بالنسبة لحالة المريض بمقاييس وجرعات مأخوذة من الخبرة والتجربة تجنبا للاعراض (side-effects) مما يشير الى أنهم كانوا يتحسبون لعدة أمور عندما يقيسون تلك الجرعات (هل هي أمينه.. هل هي

ضاره.. هل هي نصف أمينه)؟. هذه الظاهرة الاجتماعية وحدها كافية لأن نعطيها حقها من الرو ية والتدقيق حتى نشهد لهم بالحذق والمهارة.. ونتأكد وبكل ثقة من أنهم ماكانوا يستعملون الأعشاب والمواد الخام للعقاقير والأدو ية إلا بما يتناسب ودراساتهم الخفية التي كانوا يحتفظون بها سرا في نفوسهم.. وهو دليل على وجود (تنظيم علمي أو ملاحظات علمية) لم تكن مكتوبة. ونحن ندعوه في الوقت الحاضر بالاختصاص العلمي الذى تكلمنا عنه سابقا.

نخرج مما فات بخلاصة مفيدة هي أن الفرد العربي يوم ذاك كان واحدا من اثنين (يستعمل العقل والحكمة اما مدافعا عن عزة وشرف.. واما مدافعا عن العقل والحكمة) فمن النادر جدا ان يبكى احدهم على (ميت) مالم يكن قتيلا في واحد من هذين الميادين.

خذ مادة القطران مثلا.. لقد كان البدوى يستعملها كمادة من مواد الشفاء والأمراض في أبله وانعامه ولايستعملها في شفاء الانسان الا ماندر لانها في عرفه سامة وقاتلة.. فبعد أن يخلطها مع مواد اخرى نباتية أو معدنية أو حيوانية يحدد في الحال مقدار جرعتها التي سوف يستعملها في العلاج.

وجاء العصر الحديث وركز على مادة القطران في أبحاثه

وظهر منها على أنها مادة سامه وقاتلة. وأكثر من هذا فهي تسبب أمراضاً خبيثه كالسرطان.. فلما جاء يبحث عن وسائل الشفاء منها لم يصل اليها مئة بالمئة.. فماذا يعني هذا؟! بدون شك انه يعني عدة أمور:—

١) لقد كشف لنا بأن اعتقاد القدامى هو اعتقاد صحيح.

٢) وأن ربط الحاضر بالماضي من حيث المقارنات العلمية والتاريخية امر نافع ومفيد.

٣) وأن علماء العصر الحاضر قد اتجهوا اتجاهات جديدة في امور البحث والفحص والعلاج لاتعتمد على المواد الطبيعية فقط وانما يضاف اليها المواد الصناعية ايضا.. وهذه المواد الصناعية (لاتخلو من مخاطر واضرار وسوف نأتي على ذكر ذلك عند كل موضوع على حده).

الطب العربي القديم

قبل أن ادخل في صميم الموضوع تحليلا وتركيبا.. احب مخلصا أن اشير الى بعض المفوات في الفهم والادراك.. التى ربما تضخمت فتحولت بمرور الوقت والزمن الى اخطاء علمية وفكرية.

ان علماء العصر الحديث ومفكريهم الى يومنا هذا لم يعرفوا ماهو (الالم) الا بكلمتين اثنين.. ربما فسرت الى تفسيرات كثيره ولكنها في اى حال من الأحوال لم تخرج عن هاتين الكلمتين.. انهم يقولون (انه امر طبيعي ينتج من تفاعلات كيماويه في انسجة الجسم ينبه المراكز الحساسه الى وجود شيء غير طبيعي) وهذا صحيح ولكنه مختصر.

فالبدن في عرف القدامى والمحدثين يتكون من عناصر حيوية ندعوها اساسيه ونختصرها على هذا النحو:—

١ ــ البدن أو (الغلاف)

٢ ــ الحيوية أو جوهر الحياة (أو الروح)

٣ ــ الوسيط من الانسجة والالات او (الاحشاء)

٤ ــ الذات (او الشخصية ذات التكوين المعبر) عن المظهر والدوافع والسلوك.

اما عندما نريد (التوسع) في التفاصيل.. فيحق لنا ساعتها أن نقول (بأن لكل مسامه من مسام البدن.. ولكل خليه من خلايا الجسم.. اعصاب حسيه وعروق دمويه.. صادره ووارده.. اما منفرده واما مجتمعة.. تمونها بماد الحياة الغذائية والضرورية.. وتسحب منها الفضلات والسموم الضاره بجوهر الحياة).. ترى كم عدد تلك المسام.. وكم عدد تلك الخلايا؟.. لاأحد يدرى.. اذن فكيف توصل العلماء والباحثون الى هذه المعايير والمقاييس الحيوية والعلمية؟. انظر الصورة رقم (١٦).

١ ــ توصلوا اليها عن طريق ممرات الاعصاب الصادره والوارده الى المخ.

٢ ــ وعن طريق المراكز الحيوية في المخ نفسه.

٣ ــ وعن طريق (المبرقات) الطبيعية من الاحساس الى المخ.

٤ ــ وعن طريق (اجهزة الاستلام) وردود الفعل من المخ.. اما على شكل حركة.. وأما على شكل أفراز. واما على شكل (الم). الخ

٥ ــ وكذلك عن طريق (التشعبات والفروع) الجماعية أو الفردية لأعصاب الحس والاوعية الدموية الشعرية.. منها ماهوا بسيط ومنها ماهو مركب.

٦ ـ وبمجرد ذكرنا لكلمات (بسيط ومركب) يشير الى (مناطق معينه.. وحدود معينه.. ومركبات معينه.. ومهمات معينه).

٧ ـ وكلها تشترك في (اخراج او اظهار او تميز) مابين الامور الطبيعية (وغير الطبيعية). انظر الصوره رقم ١٩

٨ ـ وهذا التمييز نفسه قد لايكون كاملا (مئة بالمئة) وان كان متكاملا في تكوينه واخراجه.. وبمعنى اوضح.. هناك أخطاء في افهام العلماء وليس في افهام طبيعة التكوين والحياة.. ومن ثم لانندهش ولانتعجب عندما نقول بان هناك غموض في تحديد (مواقع الالم.. وغموض في تحديد مصادر الالم).. فتعددت الأسماء.

والالم عند العرب القدامى يسمى (أيلمه). أى الوجع الحسي..

اما الاليم .. فهو المؤلم والموجع.. وتألم فلان من فلان (اذ اشتكى وتوجع) منه.

والايلام.. هو التألم والتوجع وخصوصا (وجع البطن) ذاته.

اما (الوجع) فلكل مرض مؤلم... أي عام.

الاصناف والاسماء للطب

له عدة اسماء مألوفه... وعندنا له اصطلاحات (شعبية) معروفة... لاتتعدى ثلاثة أنواع:ـ

١ ــ الطب اليوناني (او الحكمة اليونانية) و يذكر (القفطي) أنه لم يصل أصيلا وانما وصل محرفا.

٢ ــ الطب الهندى (اوالهيمو باثي)

٣ ــ الطب العربي القديم وهو قسمان متى اردنا له. تصنيفاً من الناحيتين العلمية والتاريخية فهو:ــ

أ) الطب العربي القديم الأول.

ب) " " " الثاني.

نقصد بالطب العربي الأول... ذلك النوع من التطبيب والشفاء الذى كان يمارس زمن (الجاهلية) وسط الصحراء وداخل المدينة (في مرحلة ماقبل الاسلام)... وكان خليطا أو (مزيجاً) من الأنواع الثلاثة السابقة.

ونقصد بالطب العربي الثاني ... ذلك النوع من (الطب وشئون العلاج) الذى بدأت ممارساته وسط الصحراء وداخل المدينة (بعد ظهور الرسالة المحمدية) و يتكون (علميا وتاريخيا) من عدة دراسات أضيف بعضها الى بعض على هذا الشكل:ــ

١) الطب العربي الأول (الذى كان في زمن الجاهلية).

٢) منضافا اليه (الطب الاسلامي) بعد ظهور الرسالة المحمدية).

٣) منضافا اليها معا (التقدم الاموى ثم العباسي ثم الاندلسي).

٤) وفيا بعد ... أضيف اليها كلها (مدرسة جند ـ يسابور) النسطورية في بلاد فارس.

فاذا كان هناك من ظلم تاريخي... او اجحاف من النظرة العلمية على التطبيب وامور الشفاء في زمن الجاهلية... فما كان الا من المؤرخين والمحللين الذين بدأوا يدرسون ذلك الظلم منذ أن جاء محمد عليه الصلاة والسلام... وساعدهم في ظلمهم وظلالهم هذا عدة أسباب:ـ

اولا : عدم قدرة الجاهليين وقتئذ على الكتابة أو تسجيل المواقف وأحداث الواقع تسجيلا في معاجم او مراجع ومجلدات.

ثانيا : وكان الجاهليون يعتمدون في تسجيلاتهم على الذاكره والحافظة مع مايؤدونه ببراعة من قصص وحكايات وروايات وأمثال.. وكل شيء يتم حسب التخصص وحسب الشهره.. يقول المؤرخ (الدوميلي) أن العلم العربي لم ينشأ من العدم بل

له مصادر عديدة.. حفظتها مصنفات المفكرين عندما تعرضت لخطر الاختفاء.

ثالثا : وكان مقياس النفع والضرر عندهم اما اجتماعيا واما اقتصاديا يسبق المرض والأفات كليه.. وكانوا من عاداتهم وتقاليدهم (احتقار المرض) والأفات كما قلنا.. وماهي عندهم الا نوع من انواع الضعف في القوة.. أو الخور في العزيمة.

وتكبر في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

ويقول المؤرخ (هـ . ج . ويلز) لقد كانت بلاد العرب (حره طبيعيا) مفتوحة للتجارة ولكل العناصر والأجناس.. على عكس ماكانت عليه الحال في بلاد الهند والصين.. فقد كانوا يحتفظون بأسرارهم وغموض المواقف عندهم ولايسمحون لدخول الغريب أو الدخيل الى بلادهم الا بشروط يشترطونها مقدما ــ.

رابعا : من أجل ذلك تذللت الصعوبات.. وتمهدت السبل أمام (اتباع موسى وعيسى) كما تمهدت للسريان والكلدان لأن يتسربوا خلسه ويسيطروا على المواقف الحساسة فيها.

١ ــ يديرون شؤن غيرهم نيابة عنهم.

٢ ــ و يكتبون و يسجلون لغيرهم كموظفين.

٣ ــ ويحتفظون بأسرار المهنة كوسيلة من وسائل الرزق والسيطرة فيا بعد.

يقول عنهم المؤرخ (الدومييلي) وكان المسيحيون مع ممارستهم اللغة العربية واتقانها يستخدمون اللغة السريانية في كتبهم وأعمالهم وكتاباتهم.

خامسا : فلما ظهرت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كان لها في نفوسهم وقع قاتل.. فتمرد القوم وتنكروا.. وبدأ الدس والتشويه المتعمد والمقصود.. (كما سوف نرى).

فكراهية التدوين مثلا. قد أسيئ فهمها في صدر الاسلام الأول. أو فترة التحول من طور الى طور. فقد كان المقصود منها حكمة بالغه:.

١ ــ عدم تدوين الأحاديث النبوية قبل اكتمال التنزيل.

٢ ــ وعدم الخلط مابين رسالة السماء واقاويل البشر واعمالهم.

٣ ــ وخوفا من أن ينزلق ذلك الخلط فيؤدى الى تشويه حقائق الرساله السماوية.

ويقول عمر ابن العلاء (ماانتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله.. ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير).

أعاذل ان الجهل من لذه الفتى
وان المنايا للرجال بمرصد

أعاذل ماأدنى الرشاد من الفتى
وابعده منه اذا لم يسدد

سادسا : وكان موضوع (الفراسة وقوة البديهه) شيء عجيب حقا في حياة ابن البادية والصحراء. ولاأغالي اذا ماقلت بأن هذه الصفة قلّ أن تجدها في أمة من الأمم آنذاك. وهناك قصص وروايات يطول شرحها وبالامكان الرجوع اليها في المعاجم والروايات.

ترى ماهى اسرار تلك الصفات... انها على وجه التحديد نابعة من (الاستعداد التكويني) لأبناء البادية والصحراء... وأقصد به تلك (القوى الفكرية الكامنة) مع صفاء الذهن الطبيعي والغير مصطنع... تعزز تلك القوى (بقوى بدنية كامنة) عرفناها في هذا العصر على أنها (اسرار علمية) تتحكم بها امور تشريحية وأمور تتعلق بوظائف الأعضاء والغدد الصماء.

سابعا : زد على ذلك مانطلق عليه حاليا (نكران الذات)... لقد كان هو الآخر (ميزة فريدة) من ميزات

الشعوب العربية القديمة من أجل الجماعة والأسرة..
بل حقائق كان يمارسها (طبيعيا) في حياة
اجتماعية طبيعية لا تكلف فيها ولا تصنع... الأمر
الذى يجعلنا نحكم على ابن البادية والصحراء على
أنه رغم بساطته ورغم حياته الطبيعية الساذجة..
ماكان قط (انسانا أجوفا)... أو انسانا فارغا من
التفكير.

ثامنا : وليس هذا فقط بل كانت (فنون الفروسية) والرياضة
الطبيعية في تلك الحياة الطبيعية المفتوحة هي بحد ذاتها
عاملا قويا من عوامل التحكم بسلوك البدن والفكر
(في الداخل والخارج) وعندما أقول (في الداخل
والخارج) فأنما اعني (تعبيرات العلماء المحدثين) الذين
ربطوا بين (دوافع النفس المستترة وسلوك النفس
وحركات البدن الظاهره).. وهي بلا شك (من
الناحية العلمية) لا تستبعد الفكر أو التفكير أبدا... بل
تعتمد عليه وعلى الابتكارات المفاجئة التي اطلقنا عليها
(قوة البديهة)... وأن كانت لا تظهر الا في الظروف
الطبيعية والمواقف المعقدة.

تاسعا : نستخلص من كل مافات :ـ

أ) أكبر الفوائد واعظم الاثار وتُعْزى الى تلك الحياة
الطبيعية المفتوحة التي كان يعيشها الانسان
العربي القديم.

ب) اكبر الأثـر واعـظـم الـفوائد من المناخات الجغرافيـة... ومـن الـبيئات الاجتماعية التي (وأن تـعـددت)... الا انهـا انـسجمت في خلق تـلـك الـسـمـات الـعـربـيـة وتلك الصفات التي صـبغت ابناء شبه الجزيرة العربية بصبغة واحده مميزه.

جـ) فـلـيـس مـن الحـق والـصـواب أن نتجاهل ذلك ونحـن (نحـلل حـيـاته ونشرحها) تشريحا يتفق مع كـل الـعـلـوم الحـيـوية (بما في ذلك علوم الطب والأحـيـاء) الـتـي نـتـعـامـل معها حاليا.. وعلى الـعـكـس تـمـامـا... فـالامـر يـستدعى أن نقول وبـكـل وضـوح... أن ذلـك الانـسـان الـعـربي القديم:ـــ

١ ـــ مـا كـان يـعـتـمـد على الآخرين قط في حل معضلاته ومشكلاته الفردية.

٢ ـــ ومـا كـان لـيـعـتـمـد كـثـيرا الا على دساتير الـقـبـيـلـه والـصـحـراء.. اللهم الا في شوؤنه الشخصية المحدودة.. حـيـث يـعـتـبـرهـا مـن حـقـوقـه الـشخصية الانسانية.. ويستعصي على الآخرين حلها.

عاشراً : فـلـقـد تـكلمنا عن (البيئة والوراثة) بمافيه الكفاية.. ولـسوف نـتـكلم عن (العادات واثرها الاجتماعي) معززة بالأمثلة الموجزة قدر المستطاع:ـــ

أ ـ خذ مثلا مايتعلق (بالسلالات اليهودية) من عرقية موروثة.. نجدها قد جمعت طائفة من البشر تتفق مع بعضها بامور لاتختلف كثيرا عن السلالات العربية.. وان هي قد اختلفت في عدة أمور.

ب ـ فهي (سلالات دينيه) قديمه تمسكت (باركان دينيه موحده).. وان اختلفت في التفسير. الا انها لم تختلف في التطبيق العملي.

ج ـ وهي سلالات عرقية قديمه تمسكت (باركان عرقيه موحده).. وان اختلفت في الاتجاهات الا انها اتفقت في الناحية العملية.

د ـ وهي سلالات (تاريخية) ذات تعاليم موروثة.. ولكنها تسير على (قواعد منظمه وموحده) تحكمها الاعراف الموروثة وأن اختلفت عن الجنسيات الدولية.

فهذه الجذور المتشابكة والمعقدة رغم طول الزمن.. ورغم مرورها بعدة (بيئات جغرافية واجتماعية) الا انها لم تنجح في صد الخلل والأمراض الموروثة. كما انها لم تنجح في صد اثرها على اليهود.

فلا يغرنك ماتراه من تقدم علمي وفكري في بلاد الغرب.. فكلها غارقه في بحار من الخرافة القديمه.. واذا كان فلاسفة الاغريق في الماضي قد استخلصوا الافكار السامية والأسس

الرئيسية للفضيله والاخلاق من بين اكوام المجتمعات المنحله واكداس الفساد والخرافة والأساطير. فان الأمم العربية القديمه هي التى قد اوجدت المعايير والمقاييس للاخلاق بين الأفراد والجماعات والتي لازالت قائمة حتى يومنا هذا..

واكثر من هذا وذاك.. انهم عززوا تلك المعايير والمقاييس بعدة قوى خفية وظاهرة.. منها مفاهيم (الفروسية) ومنها مفاهيم (مركز المرأة) في الصحراء.. ومنها مركز (الخلعاء) والمحرومين في المدينة. فلا تتعجب او تندهش اذا ماكان هناك تفريق بين الأصيل والهجين (فذلك جزء لايتجزأ من حياته) والتي كانت هي حياة الفضيله والاخلاق في عرفه ايام زمان.. ولا تستغرب ابدا اذا ماميز بين (الجوارى والأحرار) فتلك جبلتهم.. وذلك تكوينهم النفساني الذى خلقوا به.

فهناك أمراض وآفات لا تصيب الا السلالات اليهودية فقط.. يحددها علم الطب في عصرنا الحديث على انها نتيجة (لعادات واغذية معينه بين اليهود) غالبا ماتؤدى الى التخلف العقلي او الموت. اذكرها لسببين اثنين..

السبب الأول : أن شهرة العبقرية وسلامة الفكر والتفكير ليست حكرا على اليهود وحدهم.

السبب الثاني : وماهذه الشهرة الدعائية الا ضرب من ضروب تثبيط العزائم وقتل الهمم والمواهب للعرب.

وماهذه الدعايات التي الفناها في هذه الأيام.. الا امور يعود

اساسها الى العرقية والى الديانة الموسوية القديمه التي تكلمنا عنها في أول هذا الكتاب.

يروى عن (سعد القرقرة) نديم النعمان بن المنذر.. وكان شاعرا ساخرا ونديما.. سالوه مرة عن اسباب الشحم في جسمه والحمره في وجهه فقال: (لاني آخذ ولااعطي.. واخطئ ولا ألام.. فانا طول الدهر ضاحك ومسرور). وعن الموسوية نقول

وأهم هذه الأمراض والآفات اذكرها بإيجاز على هذا الشكل:ـ

١ ـ التخلف العقلي والصحي والعائلي Familial idiocy

٢ ـ زيادة مادة الانسولين.. F.. Pentosvria

٣ ـ مرض الميل الجنسي المتجانس.. Homosexuality

٤ ـ مرض املاح الفوسفات الدهنية Lipoidosis
يصيب الطحال والكبد والغدد اللمفاوية.. كما يؤدى الى التخلف العقلي أو الوفاة.

٥ ـ اما مرض السل فلا يصيب اليهود نتيجة لتلك العادات ونوعية الغذاء الذى يتعاطونه ورغم ازدحام الحارات التي يسكنونها.

٦ ـ اما امراض النفس وطرائق تحليلها وعلاجها.. والتى ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية فليس من الأنصاف

أن نتهم بها اليهود وحدهم وانما يشترك معهم من اتخذ من عاداتهم الاجتماعية ونوعية غذائهم اساليب جديدة من اساليب الحضارة في القرن المعاصر.

قد كان اخذهم في الشعر يعجبني
حتى تعاطوا كلام الزنج والروم

لما سمعت كلاما لست افهمه
كأنه زجل الغربان والبوم

وليت منفلتاً والله يعصمني
من التقحم في تلك الجرائم

٧ ـ وأما عن (الأمراض السريه) فالنفس البشرية هي النفس البشرية في كل زمان ومكان مهما بلغت من الاصلاح والفساد. ومهما بلغت من الصحة والعافية. لاتخرج عن كونها شئ حي غير جامد عنده طاقات حيوية وضرورية لاستمرار الحياة.. تمادى بها أهل العصر الحديث حتى اصبحت رذيله من رذائل الانسان الحديث. اما في العصور القديمه فمها بلغوا من اللهو والفساد فلم يبلغوا نصف مابلغه العصر الحديث.

١ ـ فنحن نستبعد مثلا وجود الزهرى ومضاعفاته عندهم.

٢ ـ ونستبعد الجذام الا ماندر.

٣ ـ ولكننا لانستبعد ماسواهما. مثل الحكه والجرب. ومثل الحمره والقروح. ومثل الشرى والتنميل الخ.

٤ ـــ وكانت مضاعفاتها تظهر على عدة اشكال وصور. وجزء منها غير قليل يكون خفيا داخل الأعضاء والأحشاء.

٥ ـــ والتمييز والتشخيص لتلك الأمراض لم يكن محددا الا في حالة واحدة (واعنى بها المرأة التى يعرف فيما بعد انها مصابة في اعضائها التناسلية).. أما ماعدا ذلك فكانت الالام والأعراض تدخل في جملة الآلام والآفات العامة للبدن.

٦ ـــ وكان أكبر مصدر لتلك العلل واللافات هم (الجوارى والقيان وبيوت الرايات الحمراء) Taverna ترى هل كان ذلك العبث والمجون في معزل عن سلطه السماء؟. لااعتقد فالخوف والحب جزء لايتجزأ من تكوينهم. فلا بداية ولانهاية الا من السماء. انظر الصورة رقم (٢٥).

يذكر الاستاذ (رينولد نيكلسون) عن (فاطمة بنت الخرشب) العبسية أنها كانت احدى من عرفن (بالمنجّبات) وكان لها سبعة ابناء. ثلاثة منهم يدعون بالكمله (اي الكاملون) وهم (ربيع وعماره وانس).. في ذات يوم اغار عليهم (حمل بن بدر الفزارى) فأسر فاطمه.. ولما أخذ بخطام البعير وابتعد عن الحي وأهله.. صاحت به (اى رجل انت ظل حلمه؟). والله لئن اخذتني

فصارت الاكمه التي امامنا (ورائي) لايكون بينك وبين زياد صلحا ابدا.. وحسبك من شر سماعه. فقال: اني ذاهب بك حتى ترعي ابلي.. فلما ايقنت انه كاذب.. رمت بنفسها على رأسها من فوق البعير فماتت خوف ان يلحق بابنائها عار أبدى.

٧ ـ اما عن (افات الحيوان التي تنتقل الى الانسان بالعدوى) فلا تظهر في مجتمعات الصحراء بالقوة التي تظهر فيها بالمدن. وغالبا ماتنتشر في اعوام الكوالح سنوات الجائحات الاقتصادية. ولعدة اسباب:ـ

أ ـ ان جوع الحيوانات في السنوات العجاف ماهو الا نتيجة لجوع الانسان والحيوان معا في هذه المنطقة الموبؤه.

ب ـ والجوع بدوره يؤدى الى الهزل المحتوم مع هبوط في المقاومه ومن ثم الموت وانتشار الجيف والافات من حولها.

ج ـ والعوامل الطبيعية في الصحراء لها دور عظيم ومفعول قوى للحد من فوعة الافات وانتشارها (كالشمس ورياح السموم والسافيات من الرمال). وكالابتعاد وحرية الرحيل من اماكن الوباء الى اماكن صافية.. وكذلك عادات البادية وابناء الصحراء المتوارثه في علاج

المصاب من الحيوان والأنفس علاجا وقائيا اما بالعزل وأما بالقتل وأما بالحرق وأما بالدفن (بحيث يضحّى) بالقليل من المال في سبيل الابقاء على سلامة الكثير منه... (والغائط) عندهم هو المكان المنخفض.

د ـ عكس المجتمعات في المدينة.. فانعدام العوامل الطبيعية قد يؤدى الى الانتشار من كثرة الازدحام.. ولكنه في اى حال من الأحوال لايتعدى حدود المدينه الى الصحراء لسببين.

الأول : لأن الصحراء واسعة بلا حدود.

الثاني : ولأن عادات المجتمع في المدينه قد تختلف في أغلب الظروف والأحوال عن عادات ابن الصحراء.

وهذا الكلام بدون شك يؤيد ماذكرناه سابقا من أن (ابن الصحراء لايلتفت الى علاج الاوبئه والآفات من الناحية الصحية والطبية بقدر مايعالجها من الناحية التجارية والاقتصادية).

وهذا هو الشاهد القوى الذى يعود بالذاكرة الى ماقلته في الجزئين الأول والثاني والثالث عن تكوين شخصية العربي القديم.

١ ـ فلقد مرت كوارث الرومان والفرس على البلاد العربية بلارحمه ولاانسانية.. فماذا كانت النتيجه؟.

٢ ـ ولقد مرت كوارث التتار والمماليك والعثمانيين عليها.. فماذا كانت النتيجة؟.

٣ ـ ومرت عليها كذلك كوارث الصليبيين وقراصنة الغرب بجميع اصنافهم وأجناسهم وأمراضهم.. فماذا كانت النتيجة؟.

النتيجة أمامنا واضحه ولاتحتاج الى عقل أو علم أو تفكير. مرت الكوارث ودمرت معها اهلها وبقى تكوين الأمة العربية خالدا الى الآن. وسوف يبقى والى أبد الآبدين وإن كره الموسو يون العيسو يون.

بعضاً من التأكيدات لما فات

يقول الزمخشرى.. ان العلماء في اواخر القرن الاسلامي الأول.. كانوا يكتبون مايصيبونه من أخبار الجاهلية عن طر يق الشعر والخبر الموروث مايملأ بيتا قر يبا من السقف لعالم واحد... فأذا حصل وتنسك ذلك العالم احرقها... وكان من العلماء غيره... من يغسل المعلومات والأخبار من صحائف الجلد... ومنهم من كان قد أوصى بان تدفن معه في القبر اذا هو مات)... وكان من عادة العرب في الجاهلية أن يجعلوا من تكو ينهم الاجتماعي (دستور حياة)... وسلطان الكهانة والعبادة تاتي مباشرة بعد سلطان القبيله... وهذا الوضع الغامض المشوش هو الذى (أدخل وسائل الشفاء) والتطبيب والعطاره... على انها جزء من العبادة وليس حرفه ذات اهتمام مختص... والذى يلتفت منا الى الوراء قليلا... ثم ينظر الى ماكتب عن المجتمع العربى في الجاهلية في الأوراق السابقة... يجد من الفوائد والمنافع مايغنيه عن التساؤل أو التعجب.

فقد كانت التجارة (في المدينة) وتربية الزرع والأنعام في الجبال والوديان والصحراء هي في الدرجه الثالثة بعد السلطان والكهانة... وقد ذكرنا بأن اساليب الرزق والمعاش قد اختلفت باختلاف (البيئة الجغرافية) والبيئة الاجتماعية التى مزقت ذلك المجتمع الى شطرين.. (شطر المدينة من جهة وشطر الصحراء من جهة ثانية).. وأمر ذلك مالوف فيا بينهم أن يدعونهم (بأهل الوبر وأهل المدر)... فلكل بيئة اجتماعية طبائعها الموروثة في التعامل والمعاملات... وسلوكها في المواقف وظروف الحياة... وكانت تعتمد على عناصر قد (اصبحت حيوية) بمرور الوقت والزمان:—

أ — حجم المدينة ودرجة نشاطها الأجتماعى أو نوع النشاط الذى تقدمه وتختص به.. أنظر الصوره (١١).

ب — سكان هذه المدينة وروادها ومن أى الأجناس هم؟!

جـ — قرب تلك المدينه (من البحر والحضارة) أو بُعدها عنها.

د — مدى عمق الروابط الاجتماعية فيها (وخصوصا اللهو والعبادات) ومايندس تحت لوائها من (رغبات وشهوات) انسانية وغير انسانية.

هـ — اما عن الصحراء وأجواء الصحراء وابن الصحراء... فالحال يختلف تماماً... ولسوف نرى كيف أثر هذا الاختلاف على (صحة المدينة وأمراضها)... وعلى (بيئة الصحراء وآفاتها).

ويذكر صاحب العقد الفريد عن (وهب بن منبّه) قوله:—

١) لقد قرأت في التوراة ان الله عز وجل حين خلق آدم.. ركب جسده من اربعة أشياء... ثم جعلها وراثه في ولده الى يوم القيامه (رطب ويابس... وساخن وبارد).

٢) ثم فطر لذلك الجسد أربعة أنواع أخرى (هن قوام الجسد) لايقوم الاّ بهن... وكما ان أى واحده منهن لاتقوم الا بالأخرى.

أ المرة السوداء.

ب المرة الصفراء.

جـ الدم الرطب والحار.

د والبلغم البارد واليابس.

٣) والحكمه من ذلك... أن أي جسد اعتدلت فيه هذه (الفِطَرْ الأربعة)... وكانت كل واحدة منهن (وفقاً) لاتزيد ولاتنقص... كملت صحة الجسد واعتدل بناؤه.. فان زادت واحدة منهن على أخواتها... قهرتهن

ومالت بهن... ودخل على اخواتها (السقم) بقدر مازادت.

أما اذا كانت ناقصة عنهن (أدخلن عليها السقم) حتى تضعف طاقتهن.

٤) ويقول ابن منبّه... عن خلق الانسان وتكوينه الجسدي:ـ

أ لقد جعل الله عقل الانسان في دماغه.

ب وشرهه في كليتيه.

جـ وغضبه في كبده.

د وصرامته في قلبه (أي قسوته).

هـ ورغبته في رئتيه.

و وضحكه في طحاله (أي مزاجه).

ز وحزنه وفرحه في وجهه.

حـ وجعل فيه ثلاثمائة وستين مِفْصلاً.

ويقول الثعالبي عن تكوين الانسان وخلقه:—

١) انه يمر في تطوره ونموه من النطفة الى أن يهْرَم ويموت... على سبع وثلاثين حاله... (لم يذكرها كلها)... ولكنه ذكر أكثرها.

٢) نطفه... علقه... مُضْغه... عضام.. ثم خلقاً آخر.

٣) جنين ... وليد... رضيع... فطيم.

٤) يافع... ناشيء... مترعرع... ثم حزور.

٥) مراهق... محتلم... بالغ... أمرد... طاراً... باقلاً.

٦) مسيطرا... مصدخا... مختطا... صعملا... ملحيا.

٧) مستريحا... مصعدا... مجتمعا... هرما.

٨) أجملها الحكماء فيا بعد بأربع مراحل:—

— سن الصبا... من ١٥ — ٢٠ عاما.
— سن الشباب... من ٢٠ — ٤٠ عاما.
— الكهولة... من ٤٠ — ٨٠ عاما.
— الشيخوخة والهرم الى الموت... وكانت هذه المرحلة (بحد ذاتها) تشكل (مرضاً) بالنسبة لمجتمع العرب في

الجاهلية وكأنها علامة من علامات الضعف والخور.
وليس من البحث العلمي القيم في شيء... أن نعتبر الفرد كماً مهملا... وليس من سبيل ابداً أن نتصور ذلك الفرد مستقلاً بذاته دائماً... فوجوده المادي وكيانه المؤكد قد اصبح (أثراً اجتماعيا) لانقدر على طمس معالمه أو اخفاء سلوكه... وقد اصبح ظاهرة اجتماعية تمثّل حقبة من الزمن والتاريخ لانستطيع ولن تستطيع نسيانها... وهذا مانحاول اظهاره امام اولئك الذين تتجافى عقولهم عن قبول الحق... ولايتعففون أبداً من أن يكذبوا... ويحسّنوا للآخرين ذلك الكذب.

وصاحب السوء كالداء العياء اذا
مـاارفض في الجلد يجرى هاهنا وهاهنا

يبدى ويخبر عن عورات صاحبه
ومايرى عنده من صالح دفنا

ان حي ذاك فكن منه بمنزلة
وان مات ذاك فلا تشهد له جننا

وهذا مايدعيه (الموسويون). وهذا مانشروه عندما شردهم بطش الرومان... وماهو في الواقع الا كذب واختلاق... سرقات وادعاءات... اقتبسوا اخبار فلاسفة اليونان وحكمائها القدامى... فأضافوها الى ماعندهم عن بابل وفارس ونسبوها الى التوراه.

ولسوف يطلع القارئ الكريم فيما بعد على (ماهو التوراة)؟. وكم عدد اسفاره؟.. وماهى الزيادات والى اى عدد وصلت؟:—

١) فوجود العرب في بلاد فارس والامبراطورية الرومانية قد اكسب شبه جزيرة العرب (طابعاً) خاصاً يتعاملون به... منه يستمدون أصالتهم وشهرتهم... وبه يذبون عن الحمى والديار اذا مادلهمت الخطوب.

يذكر البكري في معجم مااستعجم... أن قبائل قضاعة لما سارت من تهامة الى الشام (ومنها سليح والضجاعمه).. كان ملك العرب يومئذ (الظرب بن حسان) الملقب بالعماليقي... أنضموا اليه وصاروا معه... فأنزلهم مناظر الشام من البلقاء وفلسطين. حتى صاروا مع الزباء ابنة عمرو.. فكانوا فرسانها وذوي الراي والقوه عندها... فلما قُتلت استولوا على الحكم في كل تلك البقاع حتى غلبهم الغساسنة.

٢) واصبحت الشام وبلاد مابين النهرين (مداخل) جديدة لشبة الجزيرة العربية.

٣) وتزايدت مع هذه الهجرة (دلائل الخير) ووسائل الشرّ.. ولم يتغير من طبائع أبن الصحراء... بل بقيت على ماهي عليه... طبيعية... صريحة... وساذجة.

٤) عرفنا منها أن الروابط والعلائق مابين الأجناس والأمصار.. لم تكن تجارية بحته... وانما أندسّت معها معتقدات وخرافات وأساطير.

٥) ومنها مادخل باسم (الطب والشفاء) أو العطاره والتطبيب والعقاقير والسموم... ولم تسلم من الأرصاد والدجّالين والجواسيس... فإلى جانب المثل المشهور عندهم (أطبُّ من حذْيَم)... كان يوجد عندهم مثل مضاد... (أفجر من هر) وكلمة هر هذه (أسم لفاجره يهودية) أشتهرت الى هذا الحد من الخبث والتخريب والفساد.

ملاحظة ...

(حذيم) اوبن حذيم هذا كان شاعرا وطبيبا من بني تيم الرباب.. وكان ماهرا في اسرار الكي.

٦) وبدون شك.. بل من البديهي. أن من اسهم في نشر تلك الأمور. لابد وأنه (قد ادخل معها عللا وافات جديده لم تكن مألوفه من قبل في شبه الجزيرة العربية. سواء أكانت للانسان أو الحيوان معا).
ولقد ذكرنا امثلة على ذلك في أول هذا الكتاب.

اليس عجيبا ان بين بني ابي لبخل يهودى تدب العقارب؟

ويروى علامة الجزيره (الاستاذ حمد الجاسر) عن زميله الاستاذ محمد كرد علي وكان كردى الأصل.. ولكنه حر

الفكر.. عربي الثقافة. قوله (قل لي أى قطر من الأقطار لازال بصفاء العنصر من السكان وعدم الاختلاط بدماء غريبه باستثناء بادية العرب؟).

ويستمر في قوله (فانا وان كنت قد اتهمت في بعض ارائي).. الا أن التعصب من اكره الأمور الى نفسي.. مع اني لم انفرد في القول بان عنصر البدو (هو اصفى العناصر واصلحها للتقويم الحضاري).

ويقول العلامه الالوسي رحمه الله (وهناك عنصر آخر مع الانباط.. قد اثر في التجاره والعقائد في جزيرة العرب. وهم اليهود الذين يختلفون من بلاد الشام والعراق.. وكان شانهم قد فاق شان الانباط واستفحل امرهم وزاحموا السكان الاصليين على مرافق حياتهم.. فبنوا لأنفسهم القرى والمزارع.. وانشأوا البيوت والحصون. وعملوا حانات اللهو والخمور والفجور).. وقد زاد في قوله أكثر (وكان على تجار العرب وتجاراتهم اناس من الروم والانبار يشرفون على شؤونها وادارتها.. وكان في مكة نفسها بيوت تجارية رومية.. تستخدم للتجسس واللهو والتعمق في أحوال العرب.. تماما كما كان الحال مع الفرس والأحابيش.. مما جعل أجواء مكة والطائف واليمامه ويثرب تتحول الى أكبر أسواق التجارة والرقيق).

٧) ومن تلك العلل والآفات مانوجزه على هذا الشكل (الخليط) من البدع والابتكارات:—
يذكر عن العرب في الجاهلية.. أن لكل انسان تابع

من الجن.. يسترقون السمع من الغيب.. وان للشعراء توابع من الشياطين يلهمنهم الشعر. وان الجن تركب كل وحش من البهائم والطير. الا الأرانب لانها تحيض.. والضباع لانها تاكل الجيف.. والقرده لانها تغتسل من الجنابه.. ويمدحون السيف البتار على انه من صناعة الجن.. وان دوي الفيافي المخيف في الصحراء ماهو الا من عفاريت الجن.. يقول عنهم الكهنة والسحره (من اراد أن يالف الجن و يكسب محبتهم فليتبخر باللبان و يراعي سير المشترى و يغتسل بالماء القراح و يالف الوحش في الصحراء و يكثر من دخول المقابر والخرابات) الخ... اتسعت بمرور الوقت.

فصار لهم عدّة شعب وفروع وحرف ومهارات:ـــ

١ ـــ منهم الناظرون في الاجسام الشفافه (كالمرايا وطوس الماء).

٢ ـــ ومنهم الناظرون بقلوب الطير والحيوان واكباده وعظامه.

٣ ـــ ومنهم اللاعبون بالحصى (البرى والبحرى) والحبوب والنوى.

٤ ـــ ومنهم أهل الفأل والزجر بالطيور والسباع والجوارح.

٥ ـــ ومنهم أهل العفاريت والرياضات السحرية واصحاب الشعوذة الخ.

٨) يذكر الاستاذ (صبرى طعمه) في كتابه (تاريخ اليهود العام) عن أثر اليهود قوله:ـــ

أ ـ منذ الفترة التى بدأت بسيطرة الاسكندر الاغريقي عام ٣٣٠ ق.م حتى عام ٦٣ ق.م (وهو عام انتصار روما)... لم تتمكن جماعات الموسويين من تكوين شخصية اجتماعية ذات اعتبار (سياسي او اجتماعي)...

ب ـ وكانوا على شكل جماعات ممزقة تمكنت من أن تبرز خلسة... ومن خلال الموجات الفكرية والفلسفية اليونانية التى ظهرت آنذاك... وتمكنوا كذلك من أن يتسللوا الى المجتمع الروماني (المنتصر) ليمثلوا جبهة من جبهات المقاومة (ضد اتباع المسيح) عليه السلام.

جـ ـ فتكونت منهم عصابات علنية متمردة... وآخرى سرية متآمرة... تارة تختلف فيما بينها وتارة تاتلف... فنهم (الصدوقيون)... ومنهم (الأساة)... ومنهم (المنشقون) وغيرهم كثير.

د ـ وكان (الأساة) يعتبرون أنفسهم الأصل (الموسوى) والأساس... انتقلوا بشعائرهم وعباداتهم أسرارهم (الكهنوتية) الى درجة الانطواء... فاقتصرت اعمالهم على (الطب الروحاني) الذى بواسطة (أوراده) السرية يتم البرء والشفاء للمرضى...

هـ ـ اما المنشقون ... فقد أدخلوا على شعائرهم بعض المقتبسات الشرقية واليونانية والرومانية... فكانت (العفاريت والشياطين) وغيرها.. (وغضب الله عليهم... وجعل منهم القرده والخنازير وعبد الطاغوت... واولئك شر مكانا واضل سبيلا).

و ـ وان أول زعيم موسوى أدعى (الحضارة اليهودية)... كان أسير حرب... عمل في بلاط الأمبراطور (لوكيوس كورنيليوس) وتسمى بأسمه... وألف موسوعه تاريخية عن اليهود (Polyhistor) وكانت ثاني تحريف للتوراة.... ادعى فيها بان افضل المعارف والعلوم كانت (عبريّة) واقتبسها اليونانيين عن اليهود.

ز ـ وان (الفلاكه) نوع من أنواع الحرمان النفساني والعقلي لازال اليهود يعانون منه حتى يومنا هذا. بدلالة ماهو موجود من تفريق بين الفئات العليه والواطية Gentile آلام اجتماعية متعددة ومتنوعة يزخر بها التاريخ فلماذا لا تؤخذ ضدهم؟.

ح ـ ويذكر عن توأمين عربيين كانا يمارسان مهنة الطب والصيدلة في بلاد الشام.. أسم الأول

(كوسم واسم الثاني دميان) اعدمها الرومان ابان الصراع مابين المسيحية واعدائها.. وقد كانا من انصار المسيحية.. وقد نقلوا الجثمان الى (روما) وبمرور الوقت وبعد أن تغير الحال بالنسبة الى المسيحية تحول مكان القبرين الى مزار. والى كنيسه يتبركون بها..

ط وللدلالة على صفاء الطبيعة في بلاد العرب يذكر عن أول مارؤيت (الحصبة والجدرى) بارض العرب كان في عام الفيل المشهور. وهذا عامل مهم من الناحية الصحية والطبية لاننا نعزو ذلك الى غزوات اليونان والرومان البرية والبحرية..

٩) وانه يدل على الأثر الواضح الذى ادخله الرومان واليونان الى بلاد العرب.. فقد اخبرنا المؤرخ اليوناني (هيرودوت) عن راحلة بحرية قام بها (هينالوس) الاغريقي الى البحر الاريتيري (اى البحر الأحمر) وباب المندب على المحيط الهندى وبحر العرب.. كل ذلك رغبة في الحصول على خيرات الشرق وثرواته وفي مقدمتها (التوابل والبخور والأعشاب الطبيه).

كما أخبرنا المؤرخ (سترابون) عن غزوة القائد (اتيليوس غالوس) الى بلاد العرب بأمر من الامبراطور الروماني

(اغسطين) وكيف اثرت بهم تلك الرحله فعادوا مهزومين.. لامن العطش والجوع والحرارة فقط.. واما من بعد المسافة والحنين الى الوطن.

١٠) وجاء نقلا عن كتبات (سوسرت الهندية) مايشير الى وجود (الجدرى والحصبه وأنواع الزحير والكزاز والسيلان) في الهند وماجاورها منذ أقدم العصور. وبالتحديد (منذ القرن التاسع قبل الميلاد). وكانت العلاقة التجارية قوية بين العرب وبينها.

ولقد اخبرنا البخارى رحمه الله عن اسماء بعض العلل والآفات وكان مالوفا عندهم آنذاك مثل (الصداع والرعن والرمد.. والجذام.. والحمى.. واستطلاق البطن.. والطاعون.. وذات الجنب) وأن أخبار الجاهلية تنقل عن اولئك القوم بأنهم كانوا يصنعون المراهم من (المليون) لمداواة الجروح وتطهيرها من العفن والقيح.. وهي عادة جاءت مع النازحين من بلاد الفراعنة.. وكانوا الي جانب ذلك ينفخون (غبار الفطر) في حلق المصاب (بالالتهاب) وهي عادة جاءت مع النازحين الى بلاد العرب من اسيا (ولكن عن طريق اليونان والرومان).

١١) وبقدر ماكان هناك من خلط في الأخبار والأجناس.. كان هناك خلط في أمور الطب والعطاره والعقاقير والسموم.. وماكان (التخصص) مالوفا الا عن طريق

الخبره والتجربه.. اما أمراض الوهم والكدر (فلا يعرفها ابن الصحراء) الا ماندر. وعلى العكس مما هو حاصل في العصر الحديث.. فامراض النفس قد اصبحت امرا مالوفا وكانه اختصاص من اختصاصات الحضارة الحديثه.. فاما الوهن والضعف المتهالك Fragile واما الانحراف الى درجة التمرد والتجني Aggressive ولاعجب في ذلك (وخصوصا اذا مارجعنا الى العادات والتقاليد وظروف البيئة.. وهو مشابه تماما لما كان حاصلا في المدن ايام الجاهلية).

وقد سبق وقلنا في مقارنة سابقة (ان ابن الصحراء يختلف عن ابن المدينة) وهو أمر مهم جداً من عدة وجوه لاسيا وان الموضوع يتعلق بالدفاع عن ابن الصحراء أمام هجمات الذين لايعرفون عنه شيئا اللهم الا ماكان منقولا أو متواتراً وسوف نرى في الكلام المقبل مايربط بين الماضي والحاضر ومايؤيد وجهة النظر هذه. وعلى وجه الخصوص (أمور الصحة والمرض.. وشؤن التطبيب ووسائل الشفاء).. اذ كان نصيبها وافر من الغموض اؤ الاهمال التاريخي فتحولت مواقف النفس الى مؤثرات وقوى تتصارع مابين فترة وأخرى... منها ماهو ظاهر... ومنها ماهو خفي مستتر. ولكنه لايظهر الا في الملمات وعظائم الأمور:—

أ — فاما الظاهر منها فتلك القسمات التي تتمثل بقوى

(فخر الاصالة النفسية الذاتية)... مع العزة والشرف والتباهي العملي (لحماية النفس والعرض والمال).

من ذا يرد عليكم عزاؤكموا
أن ضاع آخره أو ذل واتضعا؟

ب ـ واما الخفي المستتر.. فتلك القسمات التى تتمثل بقوى لاتقل شراسه عن سابقتها ان لم تكن أعتى وأقسى... ونعني بها (قوى الاصالة العرقية والوراثية).

ياقوم ان لكم من أرث اولكم
مجدا قد اشفقت ان يفني و ينقطعا

جـ ـ يضاف اليها (عوامل مشتركة) تتحكم في الاثنين معا... ونقصد بها (عوامل بيئة الصحراء) فاجواء المدينة والحضارة تختلف في ادائها ومفعولها وآثارها عن أجواء الصحراء تماما.

فنهم من يقول:

مابي من خبل ولابي جنه ولكن عمى ياأخي كذوب
اقول لعراف اليمامة داوني فانك ان داو يتني لطبيب
فيا كبدا امست رفاتا كانما يلذعها بالموقدات طبيب
واني تعزوني لذكراك هزة لها بين جلدي والعظام دبيب

ومنهم من يقول:—

فما ابالي الذى لاقت جيوشهموا بالغذ(قذونة)من حمى ومن موم

والموم = هو اسم آخر يطلق على (الجدرى).

ومنهم من يقول:—

ولوانـنا كنا رجالا وكنتم نساء لكنا لانقر بذى الفعل

فموتو كراما اواميتوعدوكم ودبوالنار الحرب بالحطب الجزل

والافخلوا بطنها وتحملوا الى بلد قفر وموتوا من الهزل

فللبين خيرمن تماد على الاذى وللموت خيرمن مقام على الذل

وان انتموالا تغضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تعاب من الكحل

ودونكموا طيب العروس فانما خلقتم لا ثواب العروس وللنسل

فبعدا وسحقا للذى ليس دافعا ويختال يمشى بيننا مشيه الفحل

اما مالدينا من معلومات غيرها... فلقد اشتغلتنا المقارنات والروايات... كما اشتغلتنا تقسيمات العصر الحديث عما نحن فيه... ولقد اخذنا من عنصر (الشمول) سلاحا نعتمد عليه في حسم الأمور الغامضة... ورغم هذا فلم نقف بل اصبحنا اقرب مانكون الى (الحقيقة) وان تشبث بها المؤرخون والمحللون حتى يخرجوا من حيرتهم.

أولا ــ فلقد كان في تلك المواقع (التهابات وحمى واصابات واورام)... ولكنها تختلف باختلاف (البيئة والحرفة)... وباختلاف (الجسم الذى تتعامل معه)... علما بأن (الناحية النفسية) التى طغت في عصرنا الحاضر على كل شيء... كانت على العكس تماما عندهم.

يقول الاستاذ (هانزز ينسر) وليس من المؤكد أن يكون الجدرى وبعض الحميات ذات الطفح قد بدأت في الصين ووصلت الى اوروبا عن طريق بلاد فارس وبلاد مابين النهرين).

ويقول الاستاذ (وايز) و(مور) أن الكتب الطبيه الصينيه قد أشارت الى وجود الجدرى منذ ٢٤٩ق.م. ... ويؤيدهم في ذلك الاستاذ (هيرش) إلا أنه يختلف معهم في المصدر حيث يقول (ان الجدرى قد انتقل الى الصين من الهند) وكذلك اشارات كتابات الهند القديمه (آيرفيدا) وسوسيرت الى وجود الجدرى والكزاز والملاريا والجذام والهيضه واليرقان أيضا. هذا مايقال عن بلاد الشرق الأقصى آنذاك... بينما اشارت (بردية ايبرس) الفرعونية الى وجود (مايشبه الجدرى) والجذام والديدان المعوية والرمد وسل العمود الفقرى والطاعون وتضخمات الطحال من الملاريا.

ثانيا ــ ويقول الاستاذ (هانز زينسر) من الملاحظ أن الامراض في عهد الاغريق لم تكن ذات خطورة بينه بحيث يدركها المؤرخ... ويعزى ذلك الى عدة أسباب:ــ

أ ــ الشعب اليوناني كان شعباً يحب الأجواء المفتوحة ويعيش خارج المنازل... (وهذا يقارب أجواء الصحراء في شبه الجزيرة العربية).

ب ــ ولم يكن لديهم في بداية أمرهم (مدناً شديدة الازدحام).

جـ ــ وان قارى تاريخ الطب ليدهش لعدم وجود (أوصاف جديه) للأوبئة وخصوصا تلك التى تفشت في الحروب (مابين أقاليم الداخل) من جهة... ومابين الداخل والبلاد الخارجية من جهة ثانية.

د ــ وربما يعود الأمر الى اعتقادهم بأن الأمراض ماهي الا (نقمه الهيه) على الفرد وعلى المجموع. وعليهم ان يطهروا ارواحهم من أجلها.. قبل أن يطلب الشفاء.. ويقول (ديموقريطوس) أن الاوبئة القاتلة ماهي الانوع من الاجسام السماوية يتساقط رمادها على الأرض. (انظر الجزء الأول والثاني).

هـ ــ فتحول التشخيص والشفاء بعد ذلك تلقائيا الى عمليات (تقريبية) قد تشبه الحقيقة ولكنها ليست الحقيقة نفسها (انظر الجزء الأول والثاني).

ثالثا ــ افات الغنى والفقر (وامراض الترف والبطر والحضاره).
واغلبها يصيب (سكان المدن) قبل أبناءالصحراء.. أمثال (التخمة.. وأمراض الكبد.. وأمراض الأمعاء.. وأمراض اللثه.. والأسنان.. والغدد اللعابية.. وأمراض العيون والدم والدماغ.. وكذلك الات التناسل) الخ.

اقسّم جسمي في جسوم كثيرة
واحسو قراح الماء والماء بارد.

رابعا ــ افات (الحرمان الاجتماعي) كالفقر والجهل وانعدام الحرفه.. امثال (الدرن بانواعه.. والسل والكساح وسوس العظام والتشوهات الخلقية أو الجنون.. والذى قد يؤدى بدوره الى الوفاه). اما من قلة الغذاء واما من قلة العلاج.. واما منها معا.
وكان دستور (الخلعاء) المتبع في ذلك الوقت.. هو أن ينادى بهم في المواسم (ياايها الناس هذا فلان وقد خلعته.. فان جار لم اضمن.. وان جار عليه أحد لم اطلب).

والف هموم ماتزال تعوده
عيادا كحمى الربع او هي اثقل.

خامسا — افات الحرب والقتال.. واكثرها في الصحراء.. اصابات من كل نوع.. وقد تتأثر المدينة بها ولكن (بصورة غير مباشرة) مثال (الطعون والجروح والكسور والعاهات المزمنة والقروح المهملة. الخ)
ولها عند العرب معاني واسعة لانقدر على حصرها في هذا المكان.

اقاتل حتى لاارى لي مقاتلا
وانجوا اذا غم الجبان من الكرب

و يقولون في الأمثال (قتلت ارض جاهلها.. قتلت أرضاً المها)... ومنها الاستماته في الدفاع عن النفس..

اذا الحسام غدا سكران منتشيا
من الماء سقوه نفسا فصحا

و يقول الآخر..
ولاخير في الغازى اذا أب سالما
الى الحي لم يجرح ولم يتحدد

ويقول آخر ..

ويستحسنون الموت والموت راحة
واتعب ميت من يموت بداء

ويقولون في الأمثال... (هو قاتل الشتوات اى يطعم ويدفيء الناس).. والقتال (بفتح القاف والتاء) هو (الجسم واللحم)... وامرأة قتول.. اى فاتنة جدا

قتول بعينيها رمتك وانما
سهام الغواني القاتلات عيونها

سادسا — افات (اللذة المحرمه) مع مايتبعها من خمر وقيان... أمثال امراض الجلد... والالتهابات السريه... وأمراض النفس... وافات آلات الولاده... وجراحات الوشم ولتجميل... ومعامل الابخره والعطور والاصباغ والسموم... ومالها من مضاعفات على العيون والجلد وغيرها.. (كذلك اخلاق النساء وربما يضل بها الهادى ويخفي بها الرشد).

سابعا — امراض الأنعام المستأنسه.. أو حيوانات الصحراء المتوحشة... أمثال الجرب... والقمل والبرغوث... والذباب... والحشرات والزواحف... وقروح البدن

واصابات شعر البدن... وامراض الجلد والحميات الخ... وبمناسبة ذكر (الحيوان) في حياة ابن الصحراء فنحن نقول:—

١) لايتعجب القارئ الكريم عندما نخلط مابين حياة ابن الصحراء مقرونة (دائما) بسلامة الحيوان ومرضه.

٢) فالفرز مابين (التخصصات) او تصنيف الطب الى حيواني ونباتي وبشرى ماكان معمولا به آنذاك... وفي كل الحضارات القديمه... بل كان (طباً عاما) وعلاجا أو شفاء عاما.

٣) فاذا ماتصورنا حياة العرب في الجاهلية... ادركنا الواقع الحقيقي لحياة (الأحياء) عموما... وبما أن ابن الصحراء يعتمد في حياته وسلامته... وأمنه وسلمه... وصحته وشفائه على الحيوان... فلاغرابة في ذلك ابدا:—

أ فغذاؤه منها.

ب وكساؤه منها.

جـ وماواه وسكنه منها.

د	وكذلك الأمراض ووسائل الشفاء... ينطبق عليها ماينطبق على غيرها.

ثامنا ــ	آفات البيئة.. هي خليط من آفات الانسان وآفات الحيوان. وآفات الحشرات وآفات لطيور. ومايتعلق بها (من طفيليات) وأعراض ومضاعفات اكثرها (بيطريه) تنتقل الى الانسان بطريق العدوى المباشرة أو غير المباشرة... كعضة الكلب مثلا... أو (علق الماء) مع شرب الماء الملوث... أو اليرقان... أو ديدان البطن... وقد فهمناه جيدا من حديث الرسول (ص) الذى قال فيه (لاعدوى ولاهامة ولاسفر)... وسوف ناتى على تفسيره في الوقت المناسب.

تاسعا ــ	بلبال النفس... وأكثره يحدث في المدن... بعيدا عن الصحراء وحياة الخشونة. اللهم الا في حالات (العاشقين) والولهى... وهو أمر مستهجن، يحتقره ابن الصحراء أكثر مما يحتقر المرض والعار.. لعدة أسباب:ــ

أ ــ	ان عادة ابن الصحراء (أحتقاره الشديد) لكل انواع المرض... ووضعها دائما في مصاف (الخور والعار) أو الموت:ــ

واستف ترب الارض كي لايرى له
علي من الطول امرء متطول

ولكن نفسا حرة لاتقيم بي
على الضيم الاريثما أتحول

ب ـ الفتوة والرياضة والفروسية... ومجرد اسمها يكفينا علما عن النشاط البدني... والطبيعى والنفسي مايكفي لابن الصحراء بأن يبعد عنه (بلبال النفس)... اولا والأمراض ثانيا... فالأجواء الطبيعية الحره التي تعيش فيها قد ولدت في نفسه وروحه وجسمه (مقاومة) عنيدة صامدة وقوية يستمد منها كل (قواه) الداخلية والخارجية.

جـ ـ ومجرد وجود الأجواء الطبيعية تلك... تشعرنا بوجود (العلاج الطبيعي) الحقيقي أو الفعلي وغير المصطنع.

د ـ وكذلك الهواء النقي ووفرة الاوكسجين... واشعة الشمس... يساعد على الصبر وتحمل المكاره المتعددة الألوان والأنواع:ـ

وكل يرى طرق الشجاعة والندى
ولكن طبع النفس للنفس قائد

هـ ـ تعدد الجاليات والأجناس قد ساعدت في نشر اشياء جديدة منها ماهو ضار ومنها ماهو نافع.

و ــ اما جاءت على شكل خرافات واساطير وكهانه (كما ذكرنا).. وأما على شكل حكم وتجارب وافكار ودراسات صورناها تصويرا مفيدا ونافعا في الجزء الثاني من هذا الموجز.

وبدون شك فطرائق العلاج والعطاره ووسائل الشفاء... قد سلكت معهم نفس المسلك الذى شرحناه... تحدد فيما بعد في اطار حيوى ذوى جوانب اربعة:ـ

الجانب الأول. ماكانمعمولا به من (اشفيه وعلاجات) توارثوها ابا عن جد... ربما تآكل جزء منها بمرور الوقت والهمل... ولكن ربما صقل منه جزء آخر وعمل به (في حالات معدلة) تتناسب مع الظروف والأحوال.

الجانب الثاني. ذاك الذى دخل الى شبه الجزيرة العربية مع الجاليات والجوارى والقيان. أو كان بضاعة تجارية مع التجار.. وبدون شك (ماكان ليستعمل كنوع من أنواع الشفاء) مالم تكن له (مقدمات دعائية) تؤكد مفعوله الحسن في شفاء العلل والعاهات والأمراض.

الجانب الثالث. الرسالات السماوية... والمعتقدات الدينية كان لها دور عظيم في تربية النفس والروح

والبدن... ماكانوا يقصدون منها (مفعولا طبيا) بالمعنى العلمى الذى نعرفه... وانما دخل بصورة شاملة ومتكاملة... أما لأصلاح فاسد... واما لاسعاد شقي. واذا كان هناك من عيب (يعاب عليها)... فما هو الا من أمثال السياسين المنحرفين والمشعوذين والجواسيس... الذين استغلوها استغلالا غير سليم. ولسوف نتطرق الى هذا الموضوع (بصفة موسعة) عندما نأتي الى الكلام عن العبادات والمعتقدات الجاهلية.

الجانب الرابع. شهرة حكماء اليونان... ومعتقدات الهند... وأصحاب الفلك والتنجيم من بلاد مابين النهرين... قد اسهمت ولاشك في نشر تلك النظريات (التى تتعلق بالتشريح ووظائف الأعضاء والنباتات والعقاقير والأشفية) عموما... النافع منها للانسان والحيوان على السواء... انتشرت فيا بعد (وتفرعت) اما بواسطة الجيوش والرحاله والتجار واما بواسطة (السبايا) والمنهوبات من هذا المكان أو ذاك... وكان لمدرسة الاسكندرية (في البداية) فضل كبير في ذلك الا ان صورتها قد تشوهت (فيا بعد)... وخصوصا عندما تدخل الموسويون (وماحرفوه من اسفار). أو عندما تسلل العيسويون من (الرها) وروما والاسكندرية الى بلاد العرب (وفارس).

١) فتصنيف الاخلاط والأمزجة كانت معروفة... ونظريات منافذها كانت مطبقة ايضا... وعليها اعتمدت (مهارات الحجامة والغضد والكي).

٢) وأخبار أبو قراط وجالينوس وبطليموس وديسوقريدس... كانت معروفة هى الأخرى يذكر (هـ.ج. ويلز) طرفا عنها بقوله (وقد تاثرت بلاد الهند بالاغريق عن طريق فتوحات الاسكندر).. وقد ظهر مجتمع خليط (هندى اغريقي) وكان له أثر بالغ في التاثير على بلاد الصين وبالعكس.

٣) وأن أمور التطبيب والعقاقير والعبادات من الهند والصين... ماكانت تقل عن شهرة اليونان والسريان والكلدان... يذكر (هـ.ج. ويلز طرفا عنها) بقوله (لولا الرحالة الصيني أيوان شيبنج.. لما كانت هناك معلومات وافية عن بوذا ومبادئه. ولا عن البراهمية وفلسفتها).

٤) وأن التوابل بأنواعها... والعطور والأعشاب المختلفة كانت مقبولة كما هي في الهند والصين واليونان ومدرسة الاسكندرية.

٥) وكذلك جراحات التجميل (والقبالة) وتوليد الجنين... كانت في أولها فنونا هندية ويونانية..

(ولم يدخل الفن الروماني الى بلاد العرب الا متاخرا).. بدأت على انها امور تنجيم فلكية... نزحت من بابل والكلدانيين الى اليونان تلقفها (الرواقيون) واتباع فيثاغورث... فغيروا النظريات من الحدس والتنجيم الى حقائق تقرب من الواقع (فحياة الانسان في نظرهم لا تبدأ ساعة ولادته... وانما ساعة تكوينه جنيناً) وهذا مايتقارب ورأى العصر الحديث.

٦) وطرائق النظافة والعلاجات الطبيعية والحمامات الباردة والساخنة وقص الشعور وحرق البيوت القذرة أو الخربة... أمر مالوف ومتبع عند الأمم والشعوب القديمه.

٧) وامتلات الحمامات (في روما) والامبراطورية بدلا من المعابد... امثال كاراكالا Caracala تتسع الى ١٦٠٠ شخص. وديوكلتيان Diocletian تتسع الى ٣٠٠٠ شخص فيها غرف للبخار وغرف للتدليك واحواض للماء البارد والساخن.

٨) وطرائق (الحمية الغذائية) تنوعت وتعددت... كمواد العطارة والعقاقير... ولكنها باسلوب تجارى وحربى قبل أن تتحول الى وسيلة من وسائل العلاج والشفاء. وسوف نبحث ذلك (بصورة

مفصله) في آخر هذا الكلام... أما كيف كان العرب في الجاهلية يؤدون اعمالهم (الصحفية والاعلامية) وبطرائق وأساليب تسرى سريان الريح والهواء وسريان الماء والغذاء... وسريان أخبار القوة والصحة والافات... فقد رأينا ذلك في الأسواق التجارية.

وخلاصة القول ... كان مبدأهم الطبي مستمد من الواقع العملي ومؤثرات المحيط.. كان واضح وضوحا تاما.. أقطابه (الحاجة أو المشكلة) من جهة... وايجاد الحلول لها من جهة أخرى... لم يفكروا في تبويبها الى مستويات صحية أو طبية.. ولم يكونوا في حاجة الى تصنيفها الى مستويات عاجلة أو آجلة.. كلها في عرفهم «أمور بسيطة».. تحل في وقتها بدون اطالة أو تعقيد... وما الخلط الذى وقع فيه المحللون والمؤرخون.. الا نتيجة من نتائج تحليلهم لهذه النقطة الغامضة (كما يدعون).. فلو دققوا ملياً.. أو أمعنوا النظر جيدا لخرجوا بفوائد متعددة ذات بال:ــ

الأولى... لتوصلوا الى مبادئ مفيده جدا... اول تلك المبادئ (مبدأ التجربة المفيدة) وأقول مفيده أى (نافعة للناس) عموما وان طبقت على فرد بشرى واحد أو جسم حيواني واحد.

الثانية... ولحصلوا على دساتير نافعة فعلا.. استمدوها من مبدأ (الخبرة المزيج) التى تعاملوا معها في

الصحراء أو المدينة... أما أنهم أخذوها من الشعوب البعيدة التى يرتبطون بها.. وأما أنها سرت اليهم من الأمم المجاورة التي كانت ذات (فكر وفلسفة)... وذات نظريات علمية وطبية.

فاذا كان هذا الوصف.. موجودا بالفعل.. وهو من المؤكد موجود.. فان أى طعن يوجه لها.. ماكان الا نتيجة لعدم التميز مابين (علاج البدن وعلاج النفس) وهي مشكلات (من مشكلات العصر الحديث).. ماكانت موجودة آنذاك.. أنزلق اليها المحللون والمؤرخون في مقارناتهم أما جهلا أو عمدا.

صحيح.. لقد أخطأ القدامى في خلطهم مابين أمراض النفس وأمراض البدن.... الا انهم لم يخطئوا في تركيزهم على أمراض النفس (لان العرف السائد أنذاك) كان يعتقد بأن أمور النفس والعقل والبدن ماهي الا (أمر واحد).. وقد صدق اعتقادهم في عرف العصر الحديث (وبعد غربلة دامت آلاف السنين).. ولاأعتبر ذلك عيباً.. لأن العيب في المحلل والمنتقد.. وليس في أولئك القوم الذين كانوا يتعاملون مع واقعهم ومحيطهم معاملة ساذجة وصادقة ومخلصة... أرشدتنا الى هذا الرد العادل والمنصف:-

١ ــ فكل المحللين كانوا يعرفون جيدا بأن الأمم والشعوب القديمة كانت (أمم عقيدة) تربط شعوبهم بالالهة روابط (خفية وعلنية) تختص بالحياة والموت.

٢ ــ وكل المنتقدين كانوا يعرفون جيدا بأن تلك الأمم والشعوب تعتبر أبدانها وأرواحها وعقولها وحياتها في الدرجة الثانية بعد العقيدة الالهيه.

٣ ــ وكل المؤرخين كانوا يعرفون أكثر من هذا... من أن تلك الالهة. جميعها وتلك العقائد ماهي الا المدخل الكبير (للطعن في ظروف الحياة وأعمال الوساطة الوثنية).. فتارة يشبهون أوثانهم بالبشر.. وتارة بالحيوانات.... وتارة بأشياء اسطورية غامضة غير محدودة.

٤ ــ والجميع يعرفون أكثر من هذا وذاك.. بأن تلك التشبيهات ماهي (الا الخلط نفسه) الذى أوقعهم في غموض الأعمال الجباره.. والأفعال الخارقه.. والأسرار المتعدده) التى كانوا يبحثون عن ايضاحات وتفسيرات لها.

٥ ــ وان ذلك (الخلط نفسه) هو الذى دفعهم الى أن يلجأوا الى (وسائط) من الفلك والنجوم.. والسحر والتنجيم.. والالهة والأرواح.. وهكذا.. دأب في دأب.. وتعب جسماني في تعب فكرى.. على مر السنين والأيام.. لعلهم يتعرفون على خفايا تلك الأسرار الغامضة.. لامن أجل (المعرفة والحياة الفاضلة فحسب).. وانما لحل المشكلات الحيوية العويصة التى

كانوا يواجهونها قبل الموت أو يتوقعونها بعده.. وكذلك للتخلص من تلك الآفات والطواعين التى كانت تهددهم وتنغص عليهم حياتهم.

٦ — أجل لقد صح ماقلناه في أول هذا الكلام.. لقد كانت مبادئهم في مسائل التطبيب والعلاج.. مستمدة من الواقع العلمي ومؤثرات المحيط.. أى من (التجربة المفيدة والخبرة العلمية). ولاشئ أحسن من هذا في مفهومنا في العصر الحديث.

المقدمات (لحالات الاسعاف والشفاء)

الحالة الأولى: من تلك (الأوضاع التى انتقيناها) اكاد احددها تحديدا عاما (بالكسور وكيف تؤدى عمليات التجبير) فلا يخلو منها بيت في البادية... وذلك كان ديدنهم من (الحذر الشديد) عند النوازل والقتال... وفي السلم وأثناء الحروب:

واذا يهب من المنام رايته
كرتوب كعب الساق ليس بزمل

وما ان يمشي على الأرض الا منكب
منه وعرف الساق طى المحمل.

يحمى الصحاب اذا تكون كريهة
واذا همُ نزلوا... فأوى العميّل.

أ ـ وكانت نظرتهم (الى زوايا العظام وشظاياها) المهشمه... نظرة فنية واقعية... تعتمد على الدقة والبراعة... فكلما احكم الشخص المعالج وضع (زوايا العظام) الى بعضها... كلما كانت (تكهناته) وتوقعاته في (الجبر والالتئام) كاملة ومؤكدة ، Prognosis

ففـي حالات الكسر والتجبير. تحدث عمليات متعددة داخلية وكيمـاو ية فـي نفـس الـوقـت. نـكاد نسميها (بعمليات تراكم وامتـصـاص) Deposition-Resorption او عـمـلـيـات هـدم وبـنـاء. اى هـدم الأنـسجـة الزائدة (والتي هي في عرف البناء الطبيعي) ماهي الا جسم غريب ولا بد من التغرب منه.. وبناء الانـسجـة السليمه (والتي هي في عرف البناء الطبيعي) ضرورة حـيـو يـة لابـد منها كقوة دفاعية من جهة.. وللتخلص من الوجع الموجود من جهة ثانية.

وتـدخـل فـي سبـك القالب (عمليات التكلس) كل طبقات الـعـظـم المذكـورة فـي الـصـور رقـم (٣٢) وفـي مـقـدمتها (طبقة السمحاق) Periostium ولكن:—

١ — عـمـلـيـة الامـتـصـاص تحـدث فـي قمة (الزاو ية) لمكان الكسر والتشو يه.

٢ — بينما في الجانب المقعرPeriostiumتوجد عمليات ترسب وتراكم تعو يضية. Compensatory

٣ — والـزلالـيـات مـن الـغـذاء الجـيـد.. والهرمونات.. والـفـيـتـامـينات.. والخمائر.. والأملاح المعدنية.. كلها ضرورة من ضرورات تكوين و بناء الغضروف الأصلي Epiphysis وكذلك لنمو المادة الغرو ية -Collagen Formationوكـلـها يجب أن تكون جاهزة (كمواد خام) لتلك العمليات الحيو ية والكيماو ية.

٤ ــ المهارة والفن.. تظهر في عملية التوليف والتجبير. لامن الطبيب الحاذق فقط.. وانما من المجبرين عموما. فكثير مابرز المجبر الذكي والخبير بهذا الفن على الطبيب المختص في هذه الميزة.. ولكن لايعني هذا ان كل المجبرين هم أمهر من الأطباء.. انظر الصور رقم (٣٠ ــ ٣١ ــ ٣٢).

ب ــ وكانت عمليات البرء والشفاء. تعتمد على شدة الالتحام (وبدء عملية التكلس) في وقت مبكر. الأمر الذى قد يفوت على أمهر الأطباء.

جـ ــ واستعمالهم السبائب من اذناب الخيل. له مايبرره حقا.. فقد كانوا حاذقين في انتقائها.. وتطهيرها بالماء الساخن أو الخل أو ماشابه ذلك.. فاذا هي ادت الى قيح او تعفن (كان محدوداً) وعالجوه بالبط وازالة القيح كما هو متبع حاليا.

د ــ ومثلها (الأوتار وخيوط القنب) فكانت تستعمل في حالات الشد أو(ارخاء المفاصل والعضلات) وحسب الظروف والأحوال.

هـ ــ أما موضوع الحمية وطرائف ادخالها الى جسم الانسان فامور تثير الدهشة حقا. وكانت تطبق على أسس وقواعد عرفوها بالخبره والتجربة ومسجلة في صدورهم وعقولهم وافهامهم محفوظة عن ظهر قلب.

و ــ وتلك كانت طرائقهم في عمليات التمريض والرعاية الطبيه.

أما الحالة الثانية

فهي موضوع (عمليات الكي) وكيف كانت تتم وتحت أي ظروف.وهي لاتختلف في اسمها وجوهرها عن عمليات (وخز الابر الذهبية) والتي كانت تطبق في بلاد الصين بابر معدنية (وليست ذهبية). ولكن اختلاف الجو والمحيط (وقوام الأفراد) هو الذى حدد الشكل والصورة فيا بعد.. انظر الصور رقم (٨) و(١٥) و(١٦) و(١٩) و(٢٠ أ).

أ ــ فنها مايكون بالنار نفسها (لذعة واحدة) أو عدة لذعات... تبعاً لاختيار أهل الخبرة والمتطبين.

ب ــ وعندهم قاعدة (الوقت المناسب من اليوم والفصل)... من السنة أما ليلا وأما نهارا. (وحسب الأسرار التي يحتفظون بها لانفسهم.. فهو مورد رزقهم وشهرتهم). وماكان في ذلك شك أو عيب قط.

جـ ــ وكذلك (اختيار الموقع المناسب) من حيث الأحساس العام للجسم الى درجة (تتناسب مع توزيع أجهزة الأعصاب الحساسة في الطرف) ومدى قربها وبعدها عن المركز الحسّي.

د ــ تم اختيار الآلة المناسبة من حيث نوع المعدن أو حجم (الحَطَبه) او مايُعطب به من خرقه أو قماش وعلى عدة أشكال وأحجام:ــ

١ ــ الحلقية منها Button-Like

٢ ــ او على شكل خاتم Ring

٣ ــ او على شكل ميسم مستطيل (متقاطع أو متوازي).

٤ ــ ونستطيع أن ندخل معها (الرماد النباتي أو المعدني الحار أو الرمل الحار) في حالات الطعون والجروح وايقاف النزيف الغزير ويطلقون عليها أسماً مشتقا منها (المَلّه أو المَلْ).

٥ ــ كما نستطيع ادخال (الحمامات الحارة والدّلك) التى هي أساس العلاج الطبيعي حالياً.

هـ ــ أما لتطهير مكان الكي (قبل وبعد العملية) فيعتمد على عدة أمور أيضا:ــ

١) القوة المعنوية عند المصاب... ومدى قدرته على الصبر واستعداده لتحمل الألم مما يساعد جدا في اختفاء الألم.
Counter-irritant

٢) عملية الكي نفسها هي عملية تخدير موضعية (لفقد الاحساس بالنار).

٣) وهى نفسها عملية (تطهير طبيعية) بفعل الحرارة.

٤) فلم يبق الا عامل استغلال (القوى الكامنة) في جسم المصاب ونفسه... وهى ماندعوها في العصر الحديث (بالمنعة) أو المناعة يضاف اليها حذق الحكيم المعالج ومهارته وبراعته في تنفيذ العملية (بسرعة خاطفة) وكأنه يستغل (مفعول) الأمزجة والاخلاط الداخلية باعتبارها مهمازا مثيرا لتلك القوى. Tissue-Humours

٥) اما الاوضاع المرضية (او الحالات) التى يدخل اليها (الكى) فشيىء لانعرفه (علمياً) على الوجه الصحيح حتى الآن فهو في الماضي (سر من أسرار الحرفه)... وهو اليوم (سر من اسرار العلم) الذى لم ينفذ (بعد الى اعماق الجسم أو النفس) نفاذا تاماً.

٦) وتلك الأسرار القديمة... يتعاملون باسرارها كما يتعاملون مع اسرار قيافة الأثر والفراسة أذ لها حدود ومواصفات... ولها أوضاع من الجسم محدده... كما أن مفعولها (لايتم) على الوجه الصحيح الا عندما يُعرف من الجسم (موقع الشفاء) المقابل... فمثلا (بعض الأمراض) في البطن... مواقع شفائها في الأطراف السفلى.. وبعض الأمراض في الرأس... مواقع شفائها في الرقبة أو بين الكتفين. الخ.. وكانوا يحددون (موقع الشفاء للعاشق) بين أليته:—

شـكـوت الـى رفـيـقـى اشـتـيـاقـى
فـجـاءنـي وقـد جـمـعـا دواء

وجـاء بـالـطـبـيـب لـيـكـويـانـي
ولاابـغـى عـدمتها كـواء

ولـو اتـيـا بـسـلـمـى حين جـاء
لـعـاضـانـى عـن الـسـقـم الـشـفـاء

الحالة الثالثة تـتـعـلـق (بـالحجامة وفصد الدم) بنوعيها الجاف والـرطـب... اخـبـارهـا جـاءت مـن حكماء الـيـونـان... وفـوائدهـا محدوده... ولكنها لازالت مـسـتـعـملة.. (كمية من الدم معينه... لحالات معروفة... في فصول محدة من السنة) وهكذا.. و يـذكـر عـن رسـول الله (ص) انـه احـتـجـم مع بـعـض الأنـصـار بمحاجم من قرون... حجمه أبو ظـبـيـه فـاعـطاه صـاعين من طعام أجراً.. وقال لـلأنـصـار (الحجامة أفضل دوائكم)... و يذكر عـنـه (ص) انـه يحتجم ثلاثا... على الاخدعين بجانـب الـعـنـق... وعلى الـكـاحـل واحـده... و يقال عن خالد ابن الوليد انه كان يحتجم على هـامته و بين كتفيه... فقيل له ماهذا؟... قال (مـن أهـرق مـن هـذه الـدمـاء فلا يضره الا أن يتداوى بشي من شيئ)...

وسئل النبي (ص) لم احتجمت وسط راسك؟!... فقال ان فيها شفاء من (وجع الراس... والأضراس والنعاس). وكان الحاجم يُمتدح كالطبيب في مهارته اذا كان حاذقا بها:—

لطفاً ورقة وحذقا في صناعته
وخفة ماتسنّى منه لآرام

لولا مواقع موساه ومشرطه
لخلتني منه في أضغاث احلام

أما الفصيد.. فهو نوع من أنواع المقانق يوخذ الصّالح منه من أمعاء الحيوان ويحشى بالدم العبيط من الكبد أو مايشبه.. يضاف اليه شي من التمر أو التوابل لعلاج فقر الدم.. وحالات النزيف الشديدة.. أو عند الحمية أو فترات النقاهه.

وكان ادخال (الدم) البشري والحيواني الى وسائل الشفاء والعلاج في اوروبا قد حدث في القرن الخامس عشر.. وبالتحديد في عام ١٤٩٢ ميلاديه.

اما الحالة الرابعة: Ignimatic

فتشمل اسرارا عجيبة ومدهشة.. لم نجد لها تفسيرات علمية اللهم الا تخرصات. تخرصات فردية لاتقدر على حل الغازها

اللغز الأول .. (منع الضراب) في الحيوانات الأصيلة خشية انقراضها. وفي نفس الوقت المحافظة على سلالاتها وجودة أصولها. اخبرني زميل مختص بامراض الولادة بأن الغربيين قد اخذوا (ابتكارات منع الحمل) من تلك القبائل:ـ

١ ــ يختارون نوعا معينا من الخرز أو الحصى الأملس الناعم (المستدير أو البيضاوي) وذى حجم مناسب.

٢ ــ هذه المواصفات تسهل (الحركة) داخل الرحم.. وكانها جسم غريب. يثير الصد والمقاومه (من الرحم والات التناسل).

٣ ــ وكانت المرأة العاقر عند العرب القدامى تعلق على (حقويها) خرزات سحرية يعتقد انها تساعد على الحمل والولادة.

اللغز الثاني .. (ندبة السرة) أو مخلفات الحبل السرى. كانوا يستعملونها كوسيلة من وسائل الشفاء. الفورى لالام.. وعلى الأخص الام البطن والتخمة. واعتقد (غير جازم) بوجود علاقة مابين الغدة (الزعترية) Thymus وغدة مافوق الكلية (Suprareual). التعليل الوحيد لتلك المادة السرية والسحرية والتي

تتسبب في الشفاء العاجل.. انها مادة شبيهة
بمادة (الكورتيزون) على ماأعتقد واظن.

اما الحالة الخامسة

فهي طرائق التجميل للجوارى والقيان (اما جراحيا ـ واما بالوشم) واما بالتلاعب بالاصباغ. وماكان القصد من كل تلك العمليات الا (التخلص من العيوب) الطبيعية أو التشوهات الخلقية التي تعيق عمليات البيع والشراء.

اما الحالة السادسة

فهي عملية (التمريض والرعاية الصحية) وخصوصا في تطهير الجروح الكثيرة.. وايقاف النزيف الغزير سواء في عمليات (الملل) أو الملة.. أما وقاية للجروح من التلوث واما لسرعت الالتئام.. اما الشيء المهم جدا فهوا استغلال (المنعه) أو مقاومة الجسم الداخلية وتشجيع (قوة العزيمة) والصبر على البلوى. وكانت تشكل (خمسين بالمئه) من الشفاء وتتم على عدة أشكال وصور. سوف نذكر اهمها. في سياق الكلام. الأمر الذى يجعلنا نقسم (المناعه) الى قسمين (طبيعية وصناعية). المناعه الصناعية هي من ابتكار العصر الحاضر. أما المناعة الطبيعية فهي التي كان يتمتع بها القدماء وفقدناها نحن.. انظر الصور التي تتعلق بالغدة (الزعترية) والغدد اللمفاوية المرتبطة بها... وهذا هو السبب الذى يجعلنا نرتفع بنسبة الشفاء عندهم الى (خمسين بالمئه). من جانب الجسم اما الخمسين بالمئة الأخرى فتعتمد على العقاقير الطبيه التي وان تعددت وتنوعت الا انها لاتغنيهم عن العلاج الطبيعي. ووسائل الشفاء الطبيعية:

١) فلقد كانت عند العرب في الجاهلية عدة أموراً (تطبق فطرياً) وبدون تعليل... ولكنهم كانوا يجنون منها فوائد متعددة.

٢) اذن فلماذا يفسرونها أو يُجدُون لها تعليلا وهم يطبقونها تلقائيا في حياتهم (داخل الصحراء) الحرة المفتوحة؟!

٣) ثم ولماذا يفسرون أو يجدون لها تعليلا وهم لم يصطنعوها... أو يحاولوا تقليدها من الآخرين؟!

٤) فلقد اثبت علم الطب وعلوم الصحة الحديثة أن (المنعة الصناعية) أصبحت أمرا معمولا به لا لأنهم يفتقدون (المنعة الطبيعية) فحسب... وانما هى (حياة الترف والبطر) التى انحدرت بمقاومة نفس الانسان الى الدرك الأسفل... فحل الرعب والهلع والفزع (القاتل) محل المنعة (أو المناعة) وقوة المقاومة الطبيعية. وقد اتضح حديثا (ايضاً) أن (المنعة) أو المناعة أو المقاومة الطبيعية ماهى الا (مجموعة قوى) كامنة لاتخرج الا في الظروف القاسية والمواقف العويصه... أما لانقاذ الجسم من الآفات والأمراض، واما لانقاذ النفوس من الموقف الخطرة والمدمرة... فتوزع (البشر) أمامها الى عدة فئات:—

أ — فئة تحافظ عليها كما هي (ثابتة) على الفطره.

ب ــ وفئة تنحدر بها الى الصفر (كالمنتحرين) والمتوترين والموتورين.

جـ ــ وفئة ترتفع بها الى اعلى (كالرياضيين والهادئين والقانعين) وأصحاب العقيدة والإيمان.

٥) ترى لو تطفل انسان وطلب منا أن نقارن انفسنا (في العصر الحاضر) بما كان معمولا به آنذاك... فماذا ستكون النتيجة؟!.. انظر الصور (١٧ ــ ١٨ ــ ١٩ ــ ٢٠)

والإجابة على هذا السؤال دعونا نضرب لذلك مثلا واحدا.. (حيوية الفروسية) أو الرياضة البدنية كما يسمونها حاليا..(فنون)

فمن المسلّم به تاريخيا وأدبيا.. أن أمة العرب القديمة.. كانت في مقدمة شعوب العالم في ميادين الفروسية.. وكانت فنون الحرب والذكاء الفطرى امر بديهي ومتفق عليه منذ اقدم العصور. ومن ثم فالأثر الصحي الذى يحصل عليه الفارس هو أمر حقيقي ولاجدال فيه.. وقد كانت الفتوة العربية خصلة من الخصال الواقعية.. تحدده تصرفات الفرسان وأوصاف الفروسية.. أكاد اجملها في بضع فقرات كدستور اجتماعي أصيل وموروث:

أولها التربية الصحية للبدن.

وثانيها التربية الأخلاقية.

وثالثها التربية العقلية وصفاء الذهن.

ورابعها التربية النفسية والاجتماعية.

وخامسها العوامل الطبيعية المساعده (وغير المصطنعة) مثل:ــ

١ ـ وجود الأجواء الطبيعية الصافية النقية.

٢ ـ وجود الاستعداد الذاتي للفرد والمجتمع.

٣ ــ ووجود الشواهد التاريخية الموروثة للفارس وللجياد الحسان وطرائق فنونها.

ترى ماهي نظرة العلم الحديث لها في هذه الأيام؟.

ان من فضائل علماء العصر الحديث انهم يؤيدونها لاسباب صحية وطبيه. ومن عيوبنا المؤكدة اننا لانتعب في العودة اليها.. فكان لزاما علي أنا ان اذكر ولو بايجاز لبعض تلك الشواهد الصحية والدلائل الطبيه مبسطه وبدون مبالغة أو تهويل:

١ ــ لاتندهش ياأخي فلقد كان (العداؤون) في الجزيرة العربية يغطونها أما مشياً أو ركضا على الأقدام.. وقد يكون أكثرهم بلا زاد أو طعام.. اللهم الا من (ماء) يخزنونه في بيض النعام يدفنونه في الرمال.. يدفنونه اسابيع واشهرا.. تماما كما هو الحال مع (الطبوغرافيا) العسكرية.. يستدلون عليها بالفراسة المدهشة.. اما من النجم وغروب الشمس ليلا.. واما من اتجاهات الريح وحاسة الشم والسمع نهارا.

٢ ــ ومتانة العظام وتقويتها انما تعني من الوجهة الصحية والعلمية اشياء كثيرة. في مقدمتها (نشاط نخاع العظام) واستمرار انتاجه كمصدر من أهم المصادر الحيوية للدم.. ليس هذا فقط.. بل واستمرار نشاط غدة الكبد وغدة الطحال والغدد اللمفاوية الأخرى مثل (الغدة الزعترية) Thymus انظر الصور رقم (٢٧ ــ ٢٨ ــ ٢٩).

٣ ــ وتعني كذلك نشاط الغدد الصماء وعضو (ماتحت المهاد) في المخ Hypo-Thalamus

٤ ــ وتعني ايضا نشاط الدورة الدموية والقلب.. ونشاط اجهزة التنفس وتغذية المخ بالأوكسجين.. كل ذلك من أجل غرضين اساسيين (زيادة الحيوية والمناعة في الجسم.. وزيادة الحماية والحصانة من الأمراض والعلل).

٥ ــ وكل تلك العمليات الحيوية النشطة لابد وأن تحرق وقودا. ولابد وأن تطرد الفضلات خارج الجسم كامله.

وعندما نقول فضلات فانما نعني (سموما عضوية) وويلات واوجاع تهدد صحة البدن وهي معروفة لدينا مقدما (اذا خزنت).

اما الحالة السابعة

فهي الحمية نفسها.. Akribia-Dieta وتتم باعطاء

المريض (غذاءه) بوسائل اخرى مجربة (وفي حالات معينة) كالوهن والصرع أو غياب الوعي.. أما وقاية وحماية.. واما علاجا وشفاء.. ومن ثم تقوية الجسم على (الصبر والمقاومة) ولكن باسلوب منتظم ومرتب.

وعندما نقول باسلوب منظم فلا نعني التنظيم الحديث تماما ولكن يقاربه من عدة وجوه. اخذوها بالتجربة والخبره وهو أمر متعارف عليه وموروث كما قلنا في أول هذا الكلام.. ويشمل كل قطاعات الصحراء والمدينة.

وأن أى طبيب مشهور (أو صيدلاني مشهورا) وعطار مشهور.. لابد وأن يتميز عن غيره باسلوب يحمل اسمه أو طريقة تختلف عن غيره وهي مانسميه (بسر المهنة) اى سر التشخيص الصحيح والعلاج الصحيح واسلوب الشفاء الصحيح الذى يعتقده ذلك الحاذق أو ذلك الماهر:

١) فأما أن يؤتى به على شكل (سوائل) أو نصف سائله.

٢) وأما من الحليب المنفرد أو الممغوث بالشعير في حالات النقرس وأوجاع المفاصل. أو مزاجا من مواد واعشاب تتناسب وامتصاص المرض.

٣) وأما على شكل (نباتي) بحيث يختاره الحكيم المعالج.

٤) ويعطى عن طريق اللدود (في الحالات الشديده) أي من وسط الفم لانقاذ المصاب حتى يصل الى دور

النقاهه... وفي بعض الأحيان يكون مقتصراً على (الزلاليات) المغذية فقط واستبعاد النشويات والدهنيات (وقد اخذوها من الخبرة وليس من الدراسات العلمية في التحليل والتركيب للمواد ومفعولها). Anti-Retentional

٥) فقد يستبعدون أنواعاً كاملة من الأكل أو الشراب وحسب رغبة المصاب الذى يشعرهم بأنها (تهيّج) البدن والنفس... وكأنهم قد أشاروا الى (موضوع الحساسية) التي نعاني منها في العصر الحديث.. وهم قبلنا بمئات من السنين Allergy

٦) وقد يحددّون (أو يقتصرون) على نوع واحد من التغذية... وأغلب ذلك يكون أما في حالات الحمل أو الولادة أو النزيف وغالبا ماتشترك (القابلة) مع الحكيم المعالج في هذه الأمور (الحيوية) والمتعلقة بالغذاء نوعاً وكماً.

ومن المؤكد جداً أنهم في تلك الأزمان ماكانوا يشتكون من نقص في المواد الحيوية التي نسميها في هذا العصر (÷بالفيتامينات) بدلالة ماجاء في القرآن الكريم من آيات بينات (عن التين والزيتون والعسل والرطب والثوم والبصل وماشابه ذلك من الأغذية الغنية بالمواد المقاومة للأمراض).

وكانت القبالة أمرا مألوفا في قبائل الجاهلية ولكنها لم تكن فرعا من فروع الطب.يقول عنها الحش بن تعلبة:

(أصـالحكـم حتى تنـوء وامثلهـا
كـصرخة حبلى يسرتها قبيلها).

٧) اما القصد من (الحمية والصيام) فلم يكن لاستخراج الفضلات من الجسم فقط وانما لتقوية المريض او المصاب على تحمل علته (جسمانياً ونفسانياً) وتقوية (منعته) الداخلية ومن ثم تمكين الطبيب والعقاقير من أداء مفعولها للشفاء الحقيقي وهي نوع من أنواع الرعاية الطبية (والصحية) وكانت مألوفة (عَمَلياً) وماكانت مقصودة لمفهوم علمي:

تقول سليمى ما لجسمك شاحبا ... كأنك يحميك الطعام طبيب؟
تتابع أحداث تخرمن اخوتي ... وشيّبن رأسي والخطوب تشيب
فقلى لايبالي أن يكون بجسمه ... أذا نال خلات الكرام شحوب!

يروى عن ام سلمه رضي الله عنها انها قالت... (تخوفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات الجنب). وثقل عليه المرض فلددناه.. اى سقي من طرف الفم بالدواء المعروف.. فوجد خشونة اللد فافاق وسال.. ماصنعتم بي؟ قالوا لددناك.. قال وماذاك؟ قلنا بالعود الهندى وشيء من ورس وقطرات الزيت.. فقال ومن أمركم به؟ قالوا اسماء بنت عميس.. قال هذا طب اصابته بارض الحبشه.

اما الحالة الثامنة:

فهي استعمال الأدوية والعقاقير والأعشاب.. وكل أنواع العطاره ومواد البيطره التي هي:—

أ — اما انها ظهرت واشتهرت من الخبرة والتجربة الخارجية.

ب — واما انها ظهرت واشتهرت من الخبرة والتجربة المحلية (وفي كلتا الحالتين هي أمور علاجية).

ج — فاذا عجز الصنفان (الأول والثاني) لجاؤا الى العبادات وطرائق السحر والرقى والتعاويذ وهي أمور كلها نفسانية اكثر منها جسمانية يلجاؤن اليها (وقاية وحماية) وليس علاجا.. وهكذا يتضح الموقف.اذن فمن الأخطاء الكبرى.. والظلم الفاحش.. أن ينزلق المؤرخون والباحثون والمحللون الى التركيز على الصنف الثالث فقط و يتجاهلون الصنفين الأول والثاني.

نظرة موجزة عن الصنف الأول (الصيدله):

وتعني عند القدماء (الهه الأزهار والربيع) .Flora يذكر عنها الأب (شحاتة القنواتي) قوله:—

١ — كان العشابون في زمن الاغريق Rhizotomai يختصون بامور التخزين والعلاج معا. انظر الصورة (١٢).

٢ ــ ويقول (بروكلمان) أن الكلمة موجودة في اللغة الحبشية.. ومعناها (الشفاء) أو الدواء.

٣ ــ ويبحث هذا الفن في عدة أمور iatetron مثل:

أ ــ تمييز المتشابهات من أشكال النبات.. وهل هو هندى أم صيني أم رومي الخ.

ب ــ وعن معرفة ازمانها من السنة.. وهل هي صيفية أم خريفية أم ربيعية الخ.

ج ــ وعن التفريق بين الجيد وغير الجيد من طباعها وخصائصها.

د ــ وكان ابناء الصحراء بذكائهم وفراستهم قد استطاعوا ان يتخلصوا من سلوك الحيوان أشياء مفيده.

منها مايؤثر على الحيوان فيصاب بزيادة النشاط الحيوى أو بالنشوة الراقصة المفرحة (كالبُن واليقطين).
ومنها مايؤثر على الحيوان فيصاب بالكأبه وخمود النشاط والذى قد يؤدى به الى الموت (اذا ماإستمر على تناول تلك الأعشاب مدة طويلة) كالسذاب مثلا.. ليس هذا فقط.. بل

استخلصوا من سلوك الحيوان بعضا من النباتات ربما يؤدى الى الانتحار. من شدة النشاط او اذا ماستمر على تناوله مده طويلة.

٤ — اما (هوميروس) فقد اورد في شعره كلمة (فارماكون) على أنها نوع من أنواع السحر.. وهو أقرب الى (السموم) التي طهرت وانتزع منها عنصر الضرر.. فصارت شفاء.

٥ — وفي عرف بلاد (اثينه القديمة) كان هذا المصطلح تعبيرا يدل على (استئصال الشر) بواسطة التطهير والقرابين.

٦ — اما كلمة (اقراباذين) فاساسها اليوناني يشير الى (تركيب الأدوية) المفرده.. وقوانينها الطبيه... اى أنها تناسب كلمة (وصفات طبية) في عصرنا الحديث.

٧ — ويذهب (ليبيرت) في دائرة المعارف الاسلامية... على أن كلمة (جرافاذين) السريانية قد أخذت من اليونانية... ومعناها (الرسالة الصغيرة) وهي أيضا تتناسب مع مسمى (الوصفة الطبية) المتعارف عليها عندنا.

٨ — وان أول من كتب عن (الأعشاب الطبية) هو

تـايوفـراسـت Theofrast فـي الـقـرن الـثـالـث قـبـل الـمـيلاد... ولم يـفـرق مـابين الأنـسـان والحـيـوان فـي الـعلاج... وأكثر مـاجـاءنـا مـن (طب الفراعنة) كان منقولا بواسطة هذا العالم.

٩ ــ وجـاء ديـسوقرايدس (في مدرسة الاسكندرية) ثم كاتو الرومى من بعده بما هو أوسع وأشمل ممن سبق

١٠ ــ يقول الأب شحاتة القنواتي:ــ

مـايتـعـلـق بالأسنان (المتسوسة) والحقن المهبلية (للمرأة الـعقيم) أصـلـهـا مـسـتـمـد من وصفات بابلية قديمه... جـاءت عـن طـريـق الـيـونان وكانوا غالبا مايستعملون (حـبـوب السحاق) والخروع لهذا الغرض... وفي بعض الأحـيـان يـدخـلـون الـكـركـم الناعم... ولبن البقر... وحثالة الجعه اليها.

١١ ــ

و يذكر (هيرودوتس) عن الفراعنة:ــ
انهـم يتعاملون مع (المسهلات) شهريا... وقد استعملوا عـدة أصـنـاف لـهـذا الـغـرض (المر.. الـعـرعـر.. لبن الاتـان... الخروع... الحـقـن... الحـقـن الشرجية... وكـان الـفـراعـنـة اصـح شـعـوب الأرض اجـسـاما بعد الليبيين).

وكانوا يستعملون (البلوط والصندل والعرعر) لأغراض المعابد والهياكل والقرابين والتوابيت... ووسائل الشفاء.

اما عن الطين المختوم ونبات (الالوسن) Alysmus فكانوا يستخدمونه في علاج (عضة الكلب) وداء الكَلَب.

١٢ ــ وعن نبات (الأذخر) كانت وصفاته الصيدلانية تشمل تحضير العطور المستوردة من بلاد الحبشة والزنج.

١٣ ــ أما البصل والثوم فاستعمالاتها جاءت مع (الموسويين) بعد الخروج... وكانت الخمرة عنصرا من عناصر المزج والتركيب... أما عن (الكزبرة) فقد جاء عنها على انها (المن) وانها طاردةٌ لديدان البطن.

١٤ ــ واما الطلح والأثل Acasia-Seyal فكان الفراعنة يستخدمونه لعلاج أمراض العيون... وبعض الأمراض الباطنية.

١٥ ــ أما الفجل والعدس... فكان الغذاء المفضل للعمال الذين بنوا الاهرامات... وكان مصدرا لقوة ابدانهم الجبارة.

١٦ ــ وكان (ديودوروس) اليوناني يعتقد بان (القمل) ينشأ من جلد الأحياء وعَرَقها.

١٧ ــ وكان نبات (المليون) Aspara يدخل في طقوس القرابين... كالتمر والعسل والبخور.. و يستعمل مدرا للبول في بعض الحالات... وحاله يتشابه مع نبات البقدونس والثوم والكرات.

١٨ ــ وان سموم الافاعي... ولحومها... واذنابها... ودماء الأبل والنسر والوطواط والجراد المطحون... وآذان الحمير.. وقرون الظباء... وشوك القنفذ وشحم الفار.. كانت رائجة في زمان الفراعنة.

١٩ ــ وأن معدن الأثمد... والرصاص... وملح البارود... وزاج النحاس كانت تستعمل (طبا وصيدلانيا)... ولكن لحالات معينة ومحددة.

٢٠ ــ اما عن (اللبخات) Stimulants فكانوا يستعملون معها (ورق النبق... والكندر.. والحناء) وكذلك مسحوق الشعير مع النبيذ والز يت.

٢١ ــ اما في حالات (الجرب) فكان المشهور لعلاجها... الخشخاش والحنظل... والكبر يت والقطران والنبيذ.

٢٢ ــ اما صموغ الحلتيت والمر.. فاكثرها لجهاز المضم والبول... وامراض اليرقان وقد تمزج مع الكمون وزهر الأثل Tamarix

٢٣ ـــ وعن تطهير الدمامل وازالة القيح... كانوا يستخدمون الأثمد والحنظل وزيت الخروع مع التمر أو الشعير.

٢٤ ـــ وعن امراض الشرج... كان لها (النعناع... الدفلى... المر حبوب الأثل... الكرنب والكتان..) اولبن الأتان المغلي. وفي حالات (التحاميل) والفتائل كان الدارج عندهم (مرارة الثور.. ودهن البقر... وقرون الضباء مع العسل والشحم).

٢٥ ـــ ومن المواد المسهلة والقابضة الخروع والحنظل (حسب ضعفه وشدته) وقشور الرمان ودم الثعبان.

٢٦ ـــ وبردية (ايدس) اشارت الى علاج مرض (الحمره) ببراز الحمير. Hamaou

مما فات شرحه... نخرج بنقطتين جوهريتين:ـــ

النقطة الأولى: تتعلق بوسائل التطبيب والشفاء... وصناعة العقاقير والعطاره المالوفة. كانت من جميع الفئات (النباتية والمعدنية والحيوانية)... وكانت شاملة (تغطي) كل الأطراف... غطت الأقاليم والأمصار من جانب وفرجت بينها وبين أذواق المجتمعات الأخرى من جانب آخر.. (وما وقفت راكده).. بل استخلصت منها (عناصر حيوية) عن فهم وادراك اصبحت (مألوفة

ومعروفة) لدرء الضرر والخطر أو اكتساب الفة ومحبة وشفاء.

النقطة الثانية

لقد ظهر (العيب) واضحا من اولئك الذين ظلموا وفرقوا (مابين متخلف ومتقدم) من تلك الأمم والحضارات وظهر الدس الخبيث عندما وجدنا حقيقة تلك الأمم والشعوب لا تميز مابين واحدة وأخرى بل (تمارس نفس المواد) بنفس الطرائق ولنفس الأغراض. مالم تتعارض مع البيئة والأجواء المحلية فساعتها تاخذ صورة (معدله) أو صورة محسنه لتتناسب مع تلك الأجواء والبيئات فهل في ذلك من عيب؟!

يذكر بن هشام.. ان عبد المطلب عندما اراد ان يعيد الحفر (لبئر زمزم)... وجد فيها اسيافا قلعية ودروعا... فسر وجودها في ذلك المكان عن رواية (مسعر بن المهلهل الينبعاوى) عندما اخبر عن رحلة الى بلاد الصين في تلك الأيام حيث قال (ثم رجعت من بلاد الصين الى بلدة (كلاه) وهي أول بلاد الهند من جهة الصين.. فوجدت فيها قلعة عظيمة يكثر فيها معدن الرصاص القلعي الذى لايكون الا هناك... وفي تلك القلعة تضرب السيوف المسماه باسمها وهي الهندية العتيقة) ترى ماذا نفهم من فضائل تلك الرحلة؟!.

نظرة موجزة عن الصنف الثاني

المسك بانواعه — أجوده الذى يوتى به من بلاد (التبت) ثم الصغدى من سمرقند ثم الهندى ثم الصيني (ومنافعه) كثيره (جيد لوجع الفؤاد مقو للقلب قاطع للنزف).

العنبر بانواعه — أجوده ذلك الذى يؤتى به من بلاد (الشحر) ثم الزنجي ثم الشلاهطى ثم الهندى ثم المغربي (منافعه) جيد للفالج واللقوة وعرق النساء! مقو للقلب نافع للشيخوخة ووجع المفاصل وعلل الدماغ.

العود بانواعه — اجوده (الكلاهى) ثم المندلي فالقشميرى فالذى يؤتى به من جزيرة سرنديب وجزر القمر ثم الصيني (ومنافعه) هي تطهير الجسم والملابس وأماكن الجلوس وتمريض المصاب من الحشرات الاهوية الفاسدة دخانه يقتل القمل وينفع في شفاء النقرس والأورام الحارة.

الفرنفل: يسمونه (ريح الجنة) منافعه طيبة.. قاطع للعفونه والغثيان.. قاطع للهيضة والزحير في الأمعاء والمعده.

الصندل: اغلب مايستعمل في ادوات الزينة.. أو يخلط مع المركبات الصيدلانية.

الصمغ العربي والكندر.. أكثر مايدخل في صناعة الأدوية والعطاره والعقاقير.

القنفذ: يستعمل لحمه لداء الفيل.. الجذام.. والفالج.. ونهش الهوام..

الكندر: يستعمل لاوجاع الكلى.. ولسلس البول.. وتطهير الدمامل.

الشعير والخل وآذان الغزال.. يستعمل للاسعاف الأولي والقروح والجروح.

البسباس والحلبة: يدر اللبن في الانعام والماشية وكذلك في حالات الحمل والولادة.

صمغ الحلتيت: اجوده من جبال كرمان.. ملطف للبدن.. ملين للمعده والأمعاء.. وطارد للارياح.

نبات الاشنان. للنظافة العامة.. للبدن والايدى والملابس.

الافسنتين: نبات عطرى.. مهضم وطارد للارياح ومدر للبول.

الاراك: يكسب لبن الماشية رائحة زكية.

الاذريون: يستعمل لتلوين الزبدة.. (ماتركوا شيئا الا استعملوه).

نبات اذن الحمار والأرنب ولسان الحمل.. تستعمل ازهاره وبذوره لضغط الدم.. وهكذا

يذكر عن بلال (رضي الله عنه) إنه اصيب (بحمى المدينة) وهي على الأغلب (حمى الربع). انه انشد:

الاليت شعرى هل أبيتن ليلة
بواد وحولي اذخر وجليل؟

و يقول آخر:

فما روضه بالحزن طيبه الثرى
يمج الندى جثجاثها وعرارها

باطيب من فيها اذ جئت طارقا
وقد اوقدت بالمندل الرطب نارها

و يقول آخر

كأن فاره مسك في مفارقها
للباسط المتعاطى وهو مزكوم

قد ادبر العر عنها وهو شاملها
من ناصع ال ة طزان الصرف تدسيم

و يقول آخر

ولازال ريحان ومسك وعنبر
على منتهاه ديمة ثم هاطل

وينبت حوذاناً وعوفا منورا
سأتبعه من خير ماقال قائل

وقد عثرنا مؤخرا على ابحاث جديدة تتعلق بالتركيبات الكيماوية والعضوية (للسوائل الحيوانية) مثل حليب الخيل وحليب الأتان.. وكانت مستعملة عند العرب القدامى كنوع من أنواع الشفاء لبعض العلل وخصوصا عند الأطفال.. والشيء المدهش حقا تحديد الباحثين عما يسمى بالحامض الشفاف (هايالو ــ رونك) Hylorunic Acid
وجدوه في تركيبات عدة سوائل حيوية مثل:ــ

١ ــ السائل الغروى أو الزجاجي للعين.. Vitrius-Humour

٢ ــ وفي سوائل الحبل السرى..

٣ ــ وفي بعض الأمينات النشوية..

٤ ــ وفي تركيبات بعض الجراثيم..

٥ ــ وكذلك موجود في الجسيمات العطرية الطياره Aromatics أمثال (الكافور ــ والكلوروفورم ــ والكلورال).

٦ ــ وهي نفسها الموجودة في الشجيرات الشرقية التي كانت تستعمل كطب شعبي في الأزمان القديمة. أي (Lauracevs-Trees) ولعدة حالات:.

— أما مهيجة. irritants

— وأما مثيرة. stimulants

— واما حارقة. Narcotics

— واما مدره للبول والعرق. Diaphoretic

٧ — وتوجد كذلك (كخلاصة (Extract)) تخرج من جسم الحيوان الذى ياكل النباتات كغذاء مالوف يخرج مع البول أو مع الحليب بعد أن يتحلل الى اجزائه الأصلية.. وهذه الأجزاء الأصلية هي التي تعمل عملها وتؤدى مفعولها على شكل (ادو ية واشفية) متوارثة عن خبرة وتجربة.
انظر الصور ٥ — ٦ — ١٠ — ١١ — ١٢

و بدون شك أن مانتكلم عنه (في الأيام القديمة) يتعلق بكل ذرة من ذرات جسم الانسان.. وبكل خلية من خلايا انسجته الحية.. اذن فلا بد وأن (قوام الدم) والذى يسمى في هذه الأيام (قوامP.H) لابد وأن يتغير تبعا للأجواء وظروف البيئة والمحيط.. ومن ثم فلكل تغيير حيوى لابد وأن يكون له ظواهر طبيعية تؤثر على جسم الانسان اما الى الصحة واما الى المرض.. والحكم الفصل في الموضوع هو(للمنعة الطبيعية) وقوة تحمل البدن ومدى قدرته على التأقلم السر يع.

موجز عن الصنف الثالث :

لايلجاؤن اليه الا اذا عجزت وسائل الشفاء في الصنفين الأولين:..

أ ــ وهي غلطة ارتكبها المؤرخون والمحللون... عندما جعلوا منها (مادة عامة للطب والشفاء) ولم يفرزوها كعنصر من عناصر (الوقاية) البحتة في ذلك الزمان.

ب ــ ولايعني هذا انهم ماكانوا يؤدون (طرائق الحماية) للفرد والمجتمع كما ينبغي.. أبداً.. وأبناء الصحراء (خاصة) وهم الأغلب كانوا يؤدون طرائق الوقاية (فطريا) أو تلقائياً، دون أن يعللوا أو يجدوا تفسيرا علمياً لها.. وليسوا في حاجة الى ذلك.

جـ ــ فكانوا يمقتون من (يتبول أو يتغوط) داخل بيته... بل هناك أماكن مخصصة لها... منها ماهو للرجال... ومنها ماهو للنساء... وكذلك الحال مع المقابر فلها أماكن مخصصه تحمل من علامات (القدسية الروحية) ماهو جدير بها.

د ــ وكانوا يعزلون (الموبوء) باي داء (يعتقدون أنه خطير) في مكان (بعيد وقريب) في نفس الوقت... ويخصصون له شخصاً واحدا (معيناً)... ياتيه بالشراب

والغذاء والدواء ويحرقون ملابسه وفضلاته بالنار.. او يهيلون عليها التراب في حفرة عميقة.

هـ ــ وكانوا يقتلون (الكلب المسعور) او الحيوانات المسعورة... دون أن يسالوا عن اثمانها أو منافعها أو مايتحملونه من خسارة وأضرار.

و ــ وأكثر من هذا كانوا يتحركون و يتنقلون من (المكان الوبثي) الى أماكن صحية وسليمة لهم ولحيواناتهم... ومن هذا الاجراء اشتقت كلمة (بيئة) المستعملة في عرفنا الحاضر. و يذكر الدكتور (شوكت الشطى) عن الصنف الثالث تحديده (للقيافه).

١) أن فن القيافة عند العرب كان على قسمين:ــ

أ ــ قيافة الأثر للاقدام البشرية وخفاف الأبل وحوافر الحيوان.

ب ــ وقيافة البشر للاستدلال على صحة النسب بالفراسة والتجربة... وقد تخصصت قبائل معينة لذلك... مثل (أبناء مدلج) وبنى مرة وغيرهم.

٢) فن الفراسة الذاتية:
وهي الأستدلال (بهيئة الانسان) وتركيب اعضائه على

(فضائله ورذائله) من الشكل الخارجي والمظهر.. وقد تطور هذا الفن في العصر الحديث الى (بصمات الاصابع وعلامات الكف والاظافر) الخ.. فلقد زعموا أن (كبر حجم الدماغ) دليل على العقل والذكاء.

و(خشونة الشعر) دليل على القوة والشجاعة.

و(نتوء الجبهة) دليل على الفهم والادراك.

و(صغر حجم الراس واستدارته) دليل على الجهل والغباء.

و(سعة الفم) دليل على الشره والتطفل.

و(غور العين) دليل على الخبث والمكر.

و(سرعة الكلام) دليل على الطيش والحمق.

(وان العاقل الحكيم) من اكتملت فيه صفات (انتصاب القامة، وبياض البشره... مشربة بحمرة، ولين اللحم.. وانفراج الاصابع... وعظم الجبهة... وشهلة العينين) واذا توفرت منه صفات نادرة مثل (ضخامة الجثة... ومهابة الطلعة) فهو زعيم أو رئيس.

٣) فنون التجربة.. من عادة افراد القبيلة في الجاهلية انهم يتداولون هذا النوع (من الدواء) لهذه الحالة من الداء.. (وفي مثل هذا الوقت من الفصل) وقد تمسّك مشاهيرهم بأمور الصحة والعبادات. فالعراف والكاهن والحكيم قد يكون هو الطبيب وصانع العقاقير ودافع الشر والأذى والمتنبئ عن الأخطار (وماكانت تلك الشهرة تعطي إلا بعد تجربة وخبرة وامتحان).. توزعت

الى عدة اختصاصات أمام ماذكرناه من صفات وحسب المهارة والفطنة والذكاء:

أ ــ ففن العرافة... هى الاستدلال على أحوال الماضي والحاضر والتكهن بالمستقبل. و يستدل عليها من (تاريخ الشخص) وكيف كان... يقابله عندنا في الوقت الحاضر (التحليل النفسي) من خلال تاريخ الانسان (تاريخ الحياة).

ب ــ وفن الكهانه... كلمة آرامية تعني عدة أمور دينية ودنيوية نادرة أهمها ادعاء علم الغيب ومعرفة أسرار المستقبل (في وقت مبكر) ولها عدة توابع من الجن (يرشدونها) كالعرافة والفراسة والطب الخ... وكان لها وقع شديد في النفوس. بدلالة (ديمومتها) وانتقالها من قطر الى قطر ومن أمة الى أمة وكان لها مفعول قوى وسلطان حاسم في الفصل مابين العداوة والخصومات كما كان لها مفعول قوى في تهدئة النفوس والخواطر (او اثارتها في بعض الأحيان) و يعتمد ذلك على المواقف والظروف والأحوال التي يتحكم بها الكاهن.

ج ــ فن الزجر اما بالطير واما باصوات الحيوان وحركاتها وعلى الرغم من أن أغلب القبائل لاتؤمن بها الا انها قد تحولت الى (عادة). يقول المرقش عنها:ــ

ولـــــقـــد غـــدوت وكـــنـــت لا
اغــــدو على واحــــــد وحــــائم

فــــاذا الأشــــائم كــــالأيــــا
مــــن... والأيــــا مــــن كــــالاشــــائم

وكـــــذلــــك لاخير ولا
شر على احــــــد بـــــدائم

د ـ فن الرّقى انتقلت من اليونان الى شبه الجزيرة العربية مع فلسفة اليونان وحكمائها... والفضل في ذلك يعود الى الفيلسوف اليوناني (يتوفراست)... والى السائح القديم (ابولوينوس دو يتان) الذى وصل الى بلاد بابل والفرس والهند وبلاد العرب... وهى:—
اما على شكل (أحجار) أو (خرز) أو مايقاربها:

١) حجر اليشب... يقى ضد العطش... ونحن نعرف أحوال البيئة في الصحراء ولماذا تركت هذا الأثر في النفوس.

٢) حجر اليشم... ينفع عن الصرع والجنون (وهى وسيلة من وسائل شفاء النفس) يلجاؤن اليها بعد فشل الطب والعقاقير.

٣) حجر الفيروز.. للألفة ومنع الخصام بين الزوجين... والقصد الخفي من ورائه هو زيادة النسل كدليل على المحبة والصفاء.

٤) حجر العقيق... ضد لدغ الحشرات والهوام.

هـ ـ فن التنجيم والفلك ... زعموا أنه بيّن طلوع الشمس وغروبها (تقع امراض وعاهات) اما للحيوان واما للانسان وهم بهذا العمل يتقون شرورها مقدما... جاء بها الانباط والموسو يون والكلدانيون والعيسو يون لهذا العمل أو القصد.

و ـ فنون السحر ... زعموا أنها تؤثر في الأبدان والقلوب... (والقلوب في عرفهم واسعة المعاني) فتارة يقصدون بها (العاطفة الذاتية)... وتارة أخرى يقصدون بها العقل والحيو ية والفطنة... ولم تكن (آفات النفس) و بلبالها قد فهمت على نحو ماهى عليه في العصر الحديث.. والا (لميزوها) أو فرقوا بين شفاء الأبدان وشفاء النفوس.

ز ـ فن الطلاسم ... وتعني القيام بعمل خارق وعجيب... أخذت من اللغة اليونانية (تاليسما) أو تعني الاستعانة بالغيب والكواكب والعقاقير.. اما لاقتناص فائدة... واما لدفع الضرر وتعني من الجهة الثانية (كل شيء نفيس)... وبدون شك كانوا يقصدون بهذا الشيء النفيس (لاشعور ياً) مايتعلق بالروح أو النفس أو العقل... فلا شيئ عندهم أغلى منها.. وقد سبق وقلنا بأن هذا النوع من الشفاء...

ماهو إلا آخر مرحلة من مراحل العلاج يلوذون بها اذا مافشلت الوسائل الأخرى... و يلجأون إليها دون أن يفهموا من معانيها إلا ذلك (الإحساس اللاشعوري) بدفع الضرر أو كسب الحماية أو الوقاية أو الحصانة.

حـ ـ فن التمائم ... تشمل مواد متعددة ومسميات مختلفة لاتختلف اعراضها ومقاصدها عما سبق (أمور نفسية لاشعورية)... اما لدفع ضرر... وأما لمكاسب يتمثلونها (على الأغلب) على شكل وسيط مادي مبسط قد يعود تاريخه الى (اماكن اسطورية) قد ثبت مفعولها (حسب اعتقادهم) مثل:—

١) السلوانه... ويقال انها خرزة بيضاء تدفن في الرمل حتى تسود ثم تنقّع في الشراب لسقيا الحزين والمكروب وهي سقية من خرزات يعتقدون بها الشفاء للعاشقين.

٢) التوله... ضرب من (الخرز) يتقى به من (مفعول السحر) أو ابطال المفعول.

٣) الهنمة والخصمة... خرزات يستعان بها (لتقوية العزيمة) ضد قوة السلطان واتقاء شروره عند المواجهة.

٤) العقره... خرزة رقطاء تعلق على اعناق الصبيه حماية لهم من الآفات والعين والحسد والصرع.

ط ـ اما اشهر (المشاهير) في تلك الأفعال والمهارات الطبية... فعددهم محدود... لقد وصل الينا منهم القليل... وجهلنا عنهم الكثير.

- لقمان بن عاد وابنته (أصحر).
- دميان وكوسم (توأمان عربيان في الشام).
- حِذْيم من تيم الرباب.
- زهير بن جناب الحميرى.
- زينب بنى أود... وقد حذقت في آفات العين والجراحات.
- ابنة عامر العدواني... جاوزت في مهنتها مقدار مابلغته (أصحر بنت لقمان) وهند أبنة الحس الأيادى وجمعه أبنة حابس الأيادى.

ويروى عن زهير بن جناب أنه أوصى أبناءه بعدة (وصفات وحكمة):ـ

١) اياكم والخور عند المصائب.

٢) أو التوكل عند النوائب.

٣) فان ذلك مدعاة للغم والسقم.

٤) ومدعاة لشماتة الأعداء.

٥) فما سخر قوم من قوم قط... الا أصيبوا بالبلوى.

وقد حوت أهم الأسس الجوهرية لدستور الصحراء وعادات ابن القبيلة وتقاليده التى شرحناها من قبل.. كما حوت الأسس الجوهرية لتقوية القوى الداخلية الجبارة الكامنة في النفس والجسم على حد سواء.. وكأن علماء العصر قد سمعوا بتلك الوصفات العلمية فطبقوها.

ختـــام وحصيلـــة

الأستـاذ (عـمـر فـروخ) أستـاذ في الـفلسفة من جامعات ألمانيا وفـرنـسـا... وعـضـو المجـمـع الـعـربـي في دمشق... وعضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباى يقول:ـ

١ ـ ليـست الـغـايـة مـن ذكـر الـتـراث أن يـكـون أحكاماً براقة... وكلمات مرصوفة... أو تمدّحا بالماضي وفخرا بـالأجداد... ولـكـن الـغـايـة منه أن ندل على مكانة أمـة... بمـا نـعـرضـه مـن أرائـهـا ومأثرها ونظرياتها... مقارنة بنظريات بعض علماء أوربا وفلاسفتها.

٢ ـ فـحـيـاة الأمم رهينة بحياة تراثها... والأمة التى تعيش بـلا تراث لاتاريخ لها... والأمة بلا تاريخ ليست إلا كُـتَـلاً بـشـريـة لاوزن لـهـا في ميزان الأمم... وتاريخ الانسانية.

٣ ـ ولم نعلم في تاريخ الإنسانية أن ثقافة ما(هوجمت) بمثل الـعـنـف الـذى هـوجمت به الثقافة العربية... وهو فخر لها.

٤ ـ فالأخطاء شيئ ماعُرّيت منه أمة من الأمم حتى يعرى منه العرب... أما إذا كانت تلك المآخذ هى من باب أنكار فضل الاسلاف وسلب الحقوق... فقد كان العرب في الميدان (آنذاك) حينما ركضت فيه الآراء بين الشرق والغرب على خيول عربية أصيلة.

٥ ـ ولولا ذاك... لما عرف الأوروبيون نتاج العقل اليوناني... والفلسفة والأدب والحكمه. ولامدى الجهود الهندية... ولااتجاه التفكير الصيني... ولا أخذوا من كل أمة بأحسن ماعندها... ثم استخرجوا منها جميعها وحدة فكرية عالمية تحمل صبغتها ولا تتجزأ.

٦ ـ ومع أن النقلة السريان هم الذين ترجموا كتب اليونان للعرب.. إلا أنهم قد هوّلوا على العرب بعظمة اليونان العلمية ورقيهم الفلسفي... ولم يثن ذلك من نقد العرب لكل مظاهر تلك العظمة والفلسفات.

٧ ـ وينقل عن ابن خلدون قوله... (فكثير من الناقلين لأحداث التاريخ) لايوف القصد بما عاين أو سمع... بل ينقل الخبر على مافي ظنه وتخمينه.. فيقع في الكذب... والنفس مولعة بحب الثناء.... والناس متطلعون الى الدنيا وأسبابها من جاه وثروة... وليس في أكثرهم من يرغب في الفضائل... أو يتنافس في ارضاء أهلها... فلهذا كانت العلوم والبضائع والمباني

والملابس والاقوات بل الحيوانات وجميع مايتكون في الأقاليم (المتوسطة الاعتدال) وسكانها من البشر.. أعدل أجساما وألوانا... وأعدل أخلاقا وأديانا.

فإن الافراط في النّهم وخصوصا في أكل اللحم والأدم... يترك فضلات في المعدة... فيتبع ذلك انكسار في الألوان... وقبح في الأشكال... والمترفون في المدن يكونون أقل احتمالا للامراض من الذين تعودوا حياة التقشف والعيش في البادية.

— ولم أبتعد كثيرا عن الاستاذ (فروخ) عندما قال (وكأني بالقارئ يقول)... لقد وصَفتَ سير المرض وحالة المريض... وكدتَ تسمى الدواء ولكنك لم تفعل... وجوابي على هذا الاعتراض هو موجز صريح:—

أ — لو قلت كل ماأعتقد لما كان من الممكن أن يصل هذا الكتاب الى يد القارئ.

ب — على أن سببا واحدا من أسباب تأخرنا الحقيقي... هو أن في بلاد العرب مؤسسات تسمى علمية... ولكن مقصدها الأول هو حجب العلم الصحيح النافع عن أمة العرب.

ج — فهي تشتغل بعلوم وفنون ونظريات كمالية... ليس من الصواب أن تشغل بها

الأمة كلها... ولقد طال لهونا بعلوم لافائدة عملية من أقبال العرب عليها.

د ــ وقد حيل بينها وبين علوم وفنون مجدية ونافعة ترتكز عليها الحضارة والمدنية ويتقنها غيرها... فالدواء وان كان يحمل أسم طبيب عربي... أو صيدلاني عربي... ليس دواء عربيا.

٩ ــ ومادمنا نقيس الحياة بالمقاييس التى نلهوا بها اليوم... فسنظل بعيدين عنها ايما بعد... أما أن نقيس الحياة بمقاييسها الحيوية الحقيقية... فذلك مالم نصل اليه بعد.

بهذا انتهى الجزء الثالث لمرحلة ماقبل
الاسلام وسوف يليه
موجز مرحلة الاسلام وما
بعد الاسلام ان شاء الله.

المراجــع

العربية:

١ ــ القرآن الكريم ... وشيئ من البخاري.

٢ ــ المراجع العربية القديمة (القفطى... ابن أبي اصيعبة... المعلقات العربية.. مذكرة داوود... ابن البيطار.. الجاحظ... البيروني... النوري... كتاب الأصنام).

٣ ــ المراجع العربية الحديثة (أعمال العقاد... مجلة الرسالة... أعمال مصطفى صادق الرافعي... أعمال حمد الجاسر... التاريخ العام لليهود.. أعمال عمر فروخ... موسوعة المعلقات... الصعاليك).

الأجنبية:

أعمال (هـ. ج. ويلز)

،، (سترابون)

،، (الدوميلي)

،، نشرات اليونسكو

الفهرست

الموضوع | الصفحة



Plate I

Clay model of a
typical Egyptian homestead
with surrounding wall.

Approx. 2000 B.C.
British Museum, London.

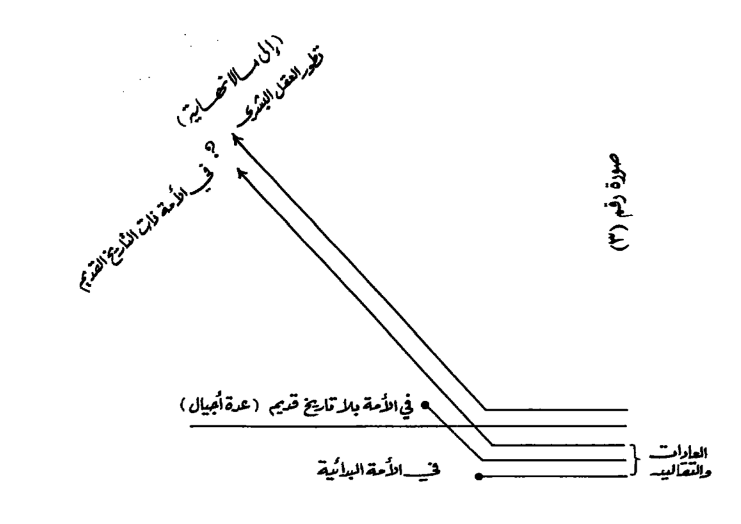
لوحة من الطين لبيت مصري
قديم وماحوله. في المتحف
البريطاني يعود تاريخه الى ٢٠٠٠
عام ق.م

الصورة رقم (١)



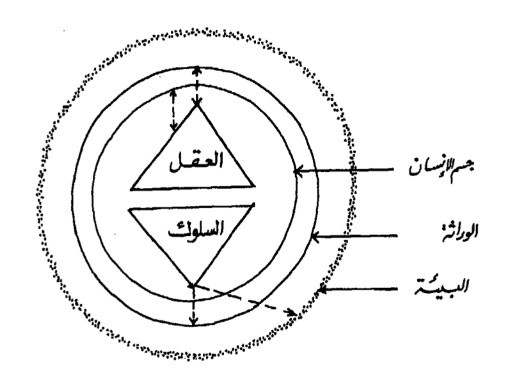
واقع شبه الجزيرة العربية بين الحضارات
في عصور ما قبل الإسلام

صورة رقم (٢)



تطور العقل البشري
(إلى ما لانهاية)
؟ في الأمة ذات التاريخ القديم
في الأمة بلا تاريخ قديم (عدة أجيال)
في الأمة البدائية
العادات والتقاليد

صورة رقم (٣)



الأثر المتبادل ما بين العقل والنفس
والبدن

صورة رقم (٤)



آثار علوم الفلك القديمة والأبراج القمرية والشمسية لازالت باقية الى الآن... والحمالس لها لم ينقطع.

صورة رقم (٥)



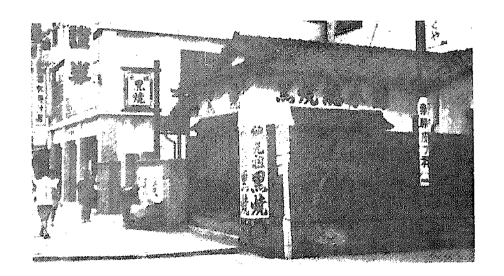
الطب البيطري عند المسلمين:

كان علماء الاسلام يهتمون بعلاج الحيوان وكان أقرب حيوان الى العربي هو فرسه، وقد تفنن المسلمون في وصف أنواع الخيل الأصيلة وشرح كل أجزاء أجسامها والتمييز بين الفرس المقاتل والآخر الذي يحمل الأثقال.

اهتمام العرب بأمور التشريح من واقع البيئه

صورة رقم (٦)

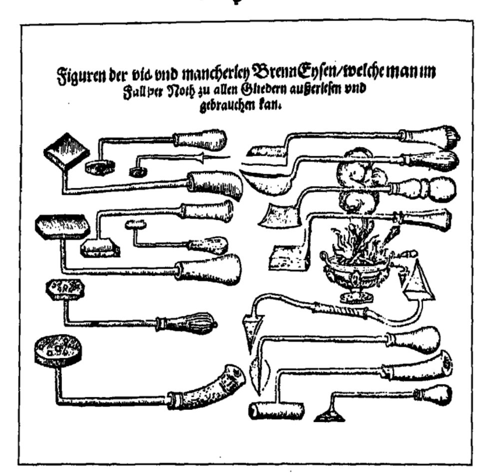
One of the typical old-fashioned apothecaries in the heart of modern Tokyo where 'Kuroyaki' preparations are sold.



الطب الموروث في اليابان العصرية وبلاد الشرق الأقصى

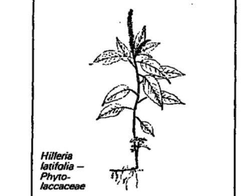
صورة رقم (٧)

آلات الكي القديمة

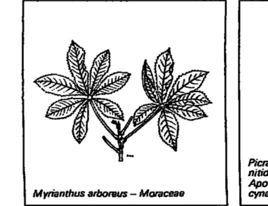


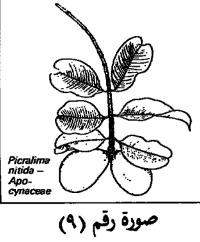
Cautery. Before Pare s time, blood was most frequently stanched by using cauters. These glowing hot irons could only be used on those parts of the body where feeling was still present and where gangrene had not set in. This process caused the patient great pain and carried with it risks of cramp, fever and often death. Taken from Paré's *Dix Livres de la Chirurgie*.

صورة رقم (٨)









Plants that heal

مايستمده الطب الموروث من مصادر قوة

Left: *Hilleria latifolia has been proved to act as a filaricide in cases of guinea-worm infestation. The bark of Securidaca longipedunculata is useful in treating psoriasis and also has anti-convulsive properties. Myrianthus arboreus; a decoction made from its bark appears effective against diabetes. When suitably prepared, the root of Picralima nitida can heal the skin disease herpes zoster in the space of two weeks.*

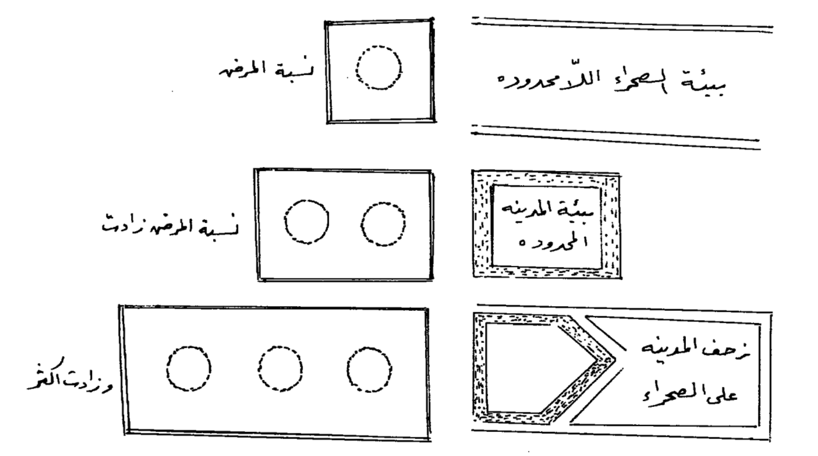
Right: *This woman has come to consult a healer at a centre for traditional medicine. Such healers are respected in their local communities for their wide knowledge of plants and diseases as well as for their understanding and wealth of human experience.*

(Photo WHO/R. da Silva)

صورة رقم (٩)



الأمبراطوريات العسكرية
صورة رقم (١٠)


بيئة الصحراء اللامحدوده
نسبة المرضى
بيئة المدينه المحدوده
نسبة المرضى زادت
زحف المدينه على الصحراء
وزادت الكثير

صورة رقم (١١)

The scanty medical equipment betrays the helplessness of the times to counter infections and deficiency diseases. Only the mortar and pestle and the tow long-handled spoons are genuine medical tools; the pewter container, earthenware jug, grater, wooden box, tap and the short-handled spoon found in the same tub are no different from contemporary household utensils. It is possible that the equipment also included medicine and surgical instruments, which have since been destroyed by the action of the water.



بعض مايستعمل في طب العطارة من أدوات صيدلانيه

صورة رقم (١٢)



Ghouls are as omnipresent as they are countless. All can disguise themselves, camouflage themselves and even change their shape to assume, for a time, the form of pretty girls. Woe to him seduced by their arts.... Galerie d'art japonais Janette Ostier, Paris

سطوة الغيلان... متهم بها العرب القدامى... فلماذا بقيت عند الأمم الأخرى حتى العصر الحديث؟!

صورة رقم (١٣)



وهذه من أين جاءت ؟!

صورة رقم (١٤)

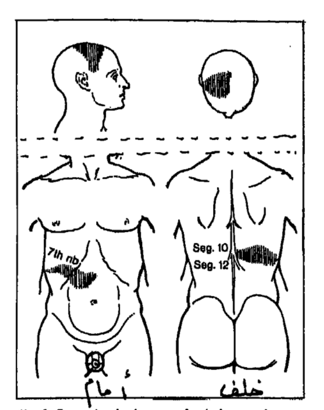


Fig. 6: Example of reference of pain from a viscus to distant parts of the body; the shaded areas show a zone of pain and tenderness on the scalp accompanying segmental reference on the trunk. (From Head H : Brain 17, 339 [1894].)

10

فى الأعلى... الرأس فى وضعين. فى الأسفل... خلف الجسم وأمامه.

مصدر الألم في مكان... وظهوره في مكان آخر.

صورة رقم (١٥)

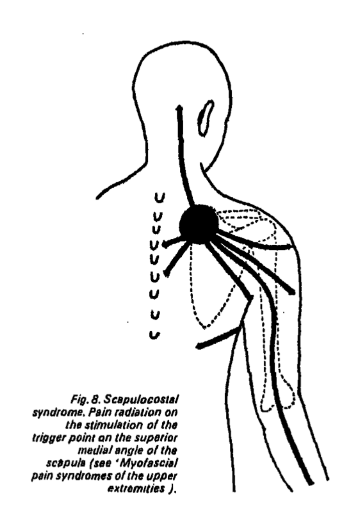
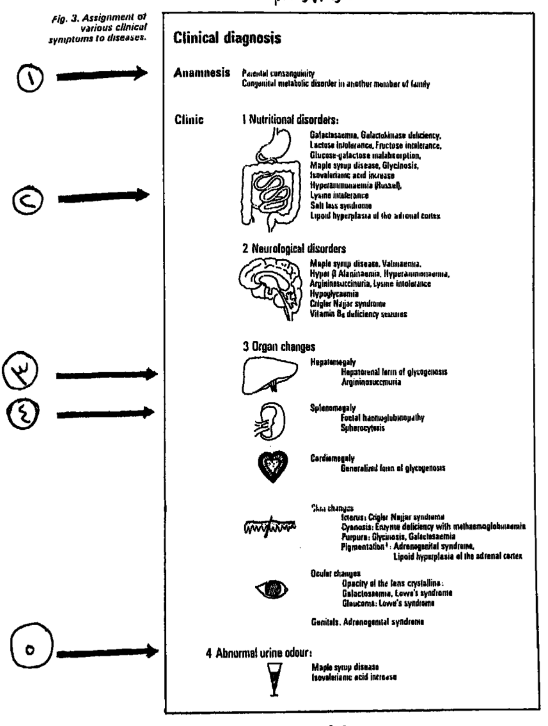


Fig. 8. Scapulocostal syndrome. Pain radiation on the stimulation of the trigger point on the superior medial angle of the scapula (see 'Myofascial pain syndromes of the upper extremities).

مصدر الألم في مكان... وظهوره في مكان آخر.

صورة رقم (١٦)


Fig. 3. Assignment of various clinical symptoms to diseases.
١
٢
٣
٤
٥
Clinical diagnosis
Anamnesis
Parental consanguinity
Congenital metabolic disorder in another member of family
Clinic
1 Nutritional disorders:
Galactosaemia, Galactokinase deficiency,
Lactose intolerance, Fructose intolerance,
Glucose-galactose malabsorption,
Maple syrup disease, Glycinosis,
Isovaleriani acid increase
Hyperammonaemia (Russel),
Lysine intolerance
Salt loss syndrome
Lipoid hyperplasia of the adrenal cortex
2 Neurological disorders
Maple syrup disease, Valinaemia,
Hyper β Alaninaemia, Hyperammonaemia,
Argininosuccinuria, Lysine intolerance
Hypoglycaemia
Crigler Najjar syndrome
Vitamin B6 deficiency seizures
3 Organ changes
Hepatomegaly
Hepatorenal form of glycogenosis
Argininosuccinuria
Splenomegaly
Foetal haemoglobinopathy
Spherocytosis
Cardiomegaly
Generalized form of glycogenosis
Skin changes
Icterus: Crigler Najjar syndrome
Cyanosis: Enzyme deficiency with methaemoglobinaemia
Purpura: Glycinosis, Galactosaemia
Pigmentation: Adrenogenital syndrome,
Lipoid hyperplasia of the adrenal cortex
Ocular changes
Opacity of the lens crystallina:
Galactosaemia, Lowe's syndrome
Glaucoma: Lowe's syndrome
Genitals. Adrenogenital syndrome
4 Abnormal urine odour:
Maple syrup disease
Isovaleriani acid increase

صورة رقم (١٧)

صورة (أ) لمفصل الركبه

كيف كانت (فنون الفروسية) والرياضة الطبيعية تحميهم من أمراض السمنة والبدانة.. وتحميهم من أمراض المفاصل ومضاعفاتها... وأمراض القلب وتصلبات الشرايين أو الشيخوخة المبكرة.

صورة رقم (١٨ أ)

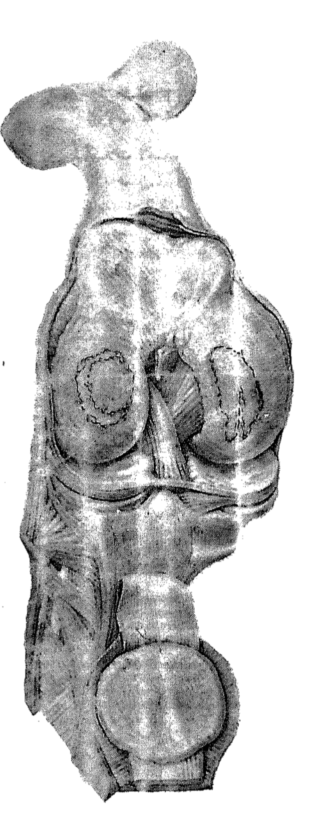


Fig. 1
Anterior view of the right knee joint flexed through approximately a right angle, with the anterior part of the capsule removed and the patella turned downwards. The bone has been laid bare at various places, especially on the medial condyle of the femur but also on its patellar surface and the medial tibial condyle. Osteophytes are visible at all the borders. They are particularly striking and radiologically significant at the attachment of the anterior cruciate ligament and the upper border of the patella (cf. Fig. 2). Figures 1 and 2 have been put together from a number of preparations. About $^{8}/_{10}$ natural size.

صورة (ب) لمفصل الركبه

تـأكـلات لاتجـدهـا بين الـفـرسان والـرياضـيين... واذا وجـدت فـهي أصابات اجبارية لحوادث أو حركات غير طبيعية.

صورة رقم (١٨ ب)

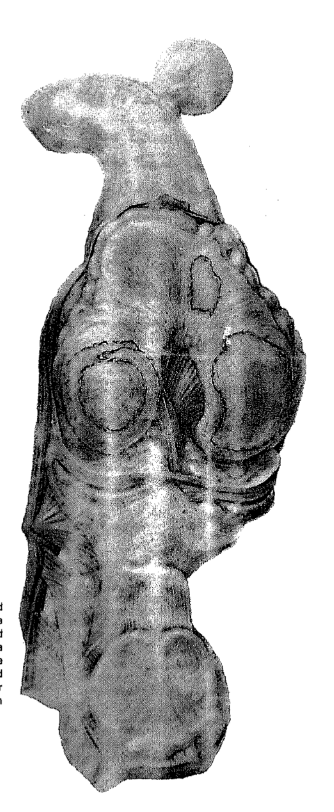
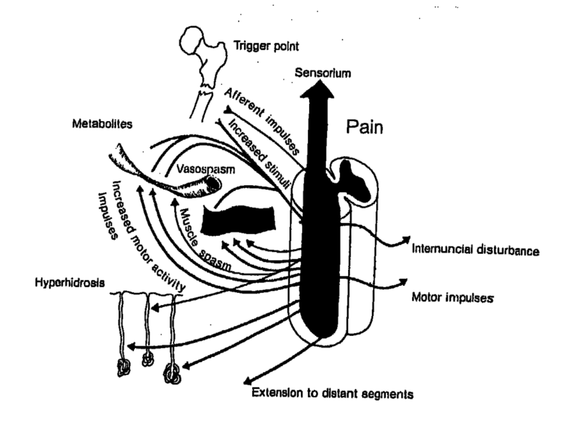
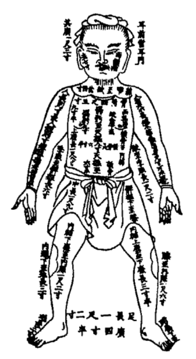


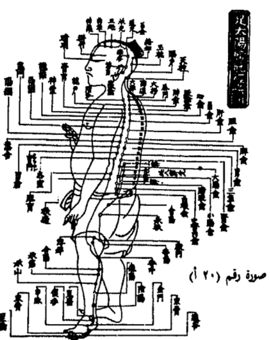
Fig.3
The osteoarthritic process further advanced than in the case shown. Figures 1 and 2. Bone has now been laid bare on the tateral tibial and femoral condyles, and the margina excrescences are more developed. The macerated preparation, radio graphs and histological preparations in this fascicule refer to the knee joint of a 63-year.old man illustrated here. About 8/10 natural size.



مصدر الألم في مكان ..... وظهوره في أماكن أخرى.

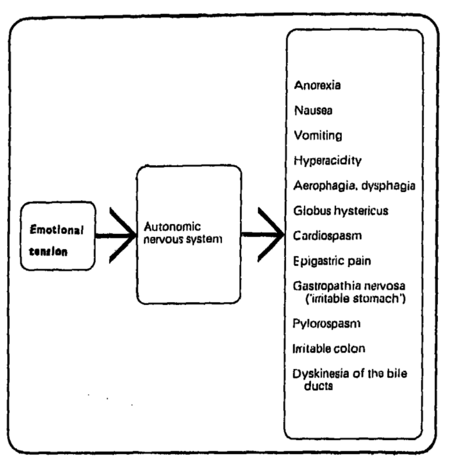
صورة رقم (١٩)





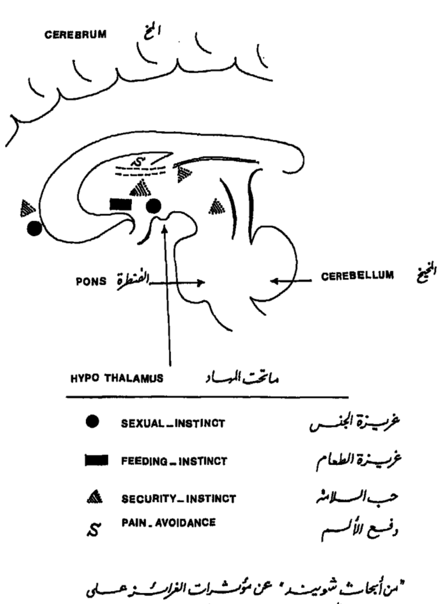
صورة رقم (٢٠ أ)

هناك تشابه في المبدأ مابين وخز الأبر في الصين... والكي في شبه الجزيرة العربية.



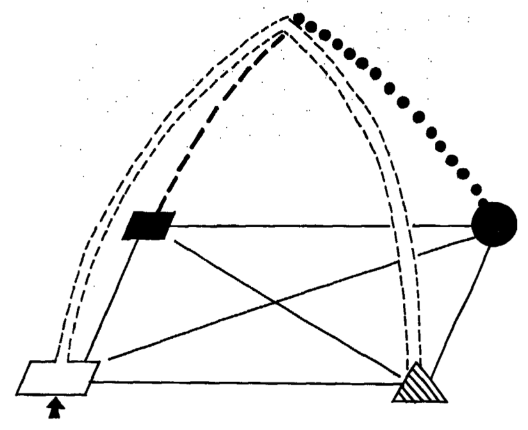
مجموعة من الآفات يشكو منها الأنسان بمجرد شكوى واحده من الجهاز الهضمي.

صورة رقم (٢٠ ب)



"من أبحاث شوبيند" عن مؤشرات الغرائز على البدن ومصادرها

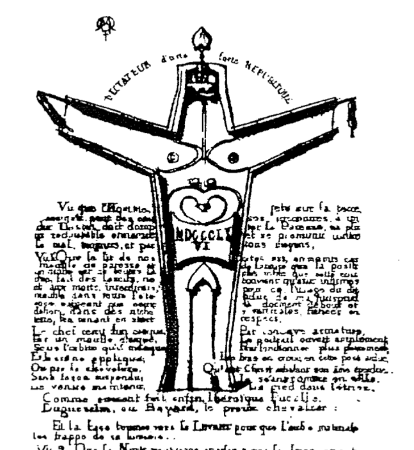
صورة رقم (٢١)



ASSOCIATION AND INTEGRETY

تكامل الغرائز وتوحيدها
(من أعمال شوبيند)

صورة رقم (٢٢)



صورة رقم (٢٣ أ)

In **'Loi lunaire'** (1866) Meryon finally succumbs to his psychosis and allows his struggling artistry to fall into a weird schizophrenic style. The strange device illustrated is supposed to replace beds; the upright sleeping posture purporting to counter vice. An English rendering of the surrounding text would be as follows: 'As man, cast upon the earth and for unknown reasons, is exposed to idleness and destined to fight against his most terrible enemy with every means in his power; as firstly, the beds of our cities are instruments of laziness and immorality, as of all positions the upright is the most noble, and as the reclining position encourages the voluptuary and is only becoming for the crippled and the dead, I would forbid the use of the said piece of furniture within the entire domain of my jurisprudence and ordain all shall sleep upright and in the open, in niches fixed perpendicular to the ground, which they shall treat with strict respect; the head piece is covered with a helmet hoisted by a pulley under the cavity which it covers and the skull allowed to rest against; or the head may simply be suspended by the hair; the abdomen is held securely by a concave brace; the chest region is uncovered in order to allow for improved (pulmonary) function; the arms are extended in the arduous position in which Christ gave up the ghost. One shall be seated as in the saddle, footin stirrup-like the heroic maid of Orléans or Duguesclin, or Bayard, the gallant knight: the face shall be turned towards the *east* so as to catch the first rays of the rising sun---As secondly, the night is for peace and tranquillity; the moon is its natural light, and as most dangerous misuse is made of artificial light which to no purpose uses up very valuable substances, I would thus strictly limit its use both for reasons of economy and in order to protect the respiratory and facial organs; all these are prophylactic measures for a more effective preservation and an improvement of man's capacities. This law, a deep source of power and purity, would be called the *law of the moon.*

Dionysus with ivy wreath.
From an attic red-figured amphora of the Kleophrades' painter showing Bacchanalian revels. 510–500 B.C. Munich, Museum antiker Kleinkunst. Photograph: Hirmer, Munich.

التغني بعظمة نبات اللبلاب في أوربا القديه والحديثه كأسطوره



صورة رقم (٢٣ ب)

Hexagon. Rocher 3. No. 8. 22-24 (1975)

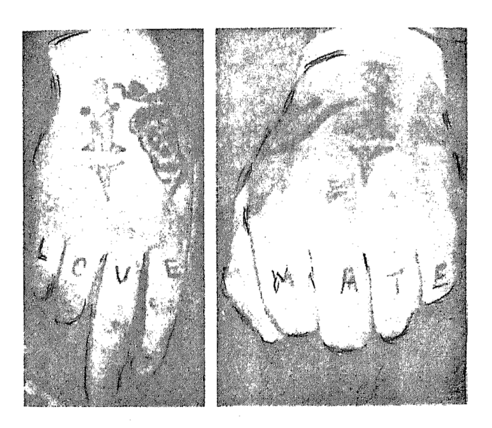
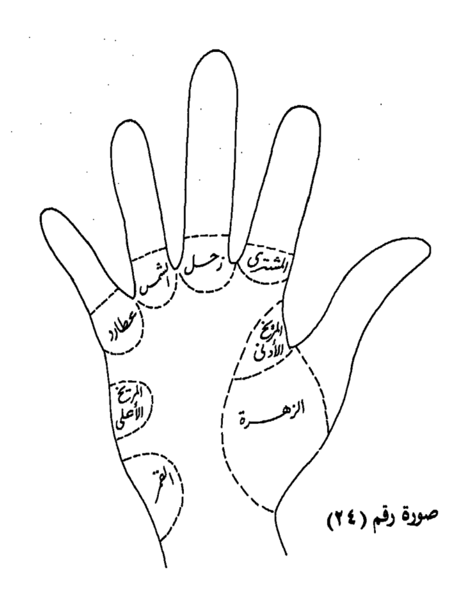


Figure 2. Tattooing is an expression and a catharsis of power and powerlessness'[1] : and so today people living on the fringes of society are remarkably keen to have such signals drawn on their skin. But signals are important not only for criminologists, lawyers and specialists in forensic medicine. they are signs that every doctor should take note of. Where it is impossible to give vent to pent-up feelings. tattooing offers an escape route from isolation and loneliness' [3] - and from there it is clearly a fatally short step to drug abuse! Tattooing is an expression of one's belonging to a community of "others" of outsiders' [2] ; is tattooing then a modern version of branding? Be that as it may. the doctor is most certainly interested in the signal that tattooing constitutes.

صورة رقم (٢٣ج)



صورة رقم (٢٤)

(رمز تقريبي للإيضاح)

الفراسه عند العرب لها الفضل على العلوم العصريه . فقد كانت الوسيط الوحيد الذى حول علوم الفلك القديمه الى تشخيص العلل والآفات عند المختصين من الأطباء . وذلك بفحص الكف والأظافر والبصمات . والوصول الى الأعماق في المعده والكبد والكلى والرئتين والتهابات الخ وغيرها . تجدون ذلك في المعاجم الطبيه أو المعاجم القانونيه الخ .

له هامةٌ لا تأكل البهسُ أمها ... وأشباحُ عاديّ طويل الرواجب .

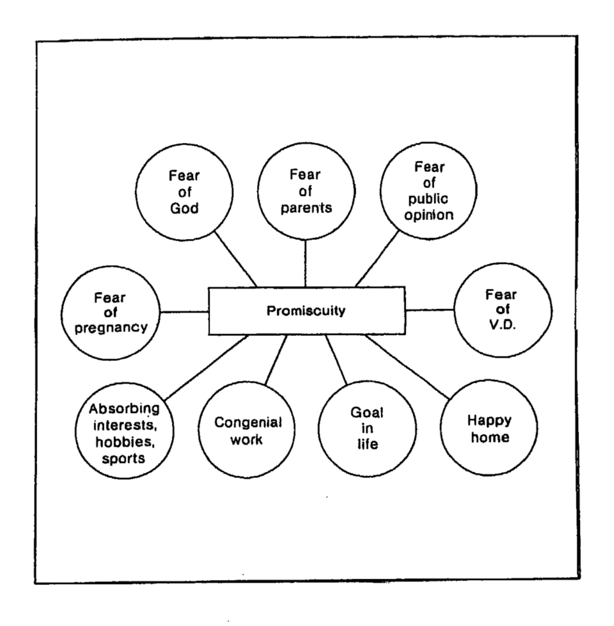


Fig. 11. Factors inhibit· ry to promiscuity.

العقيدة أهم علاج للأمراض السريه وبلا مبالغه

صورة رقم (٢٥)

صورة رقم (٢٦)

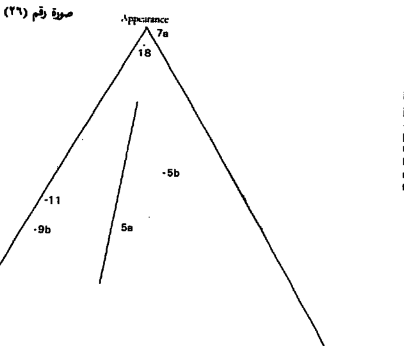
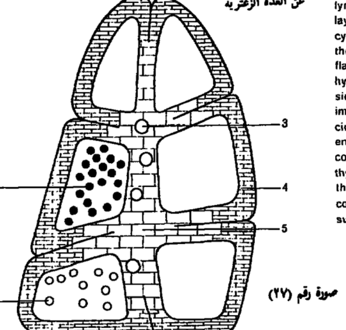


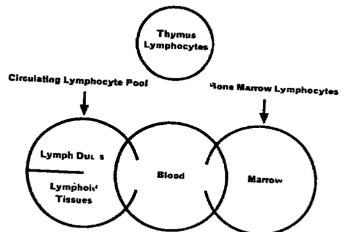
Figure 4. Three different functions are fulfilled by bird feathers: Like mammalian hairs they play an important part in heat regulation. This is probably their original function. The need for heat insulation arose with the transition from a changing to a steady body temperature, i.e. from a cold-blooded to a warm-blooded state. Secondly, feathers rendered flight possible. And thirdly, they aid display, being signal bearers. Signals may be structures or patterns, which are quite unconnected with the performance of the other functions and may even impede them. In the diagram the three functions are depicted as the reference points of a system of coordinates. Each feather has its place in this system. The figures refer to the numbers attached to the feathers illustrated here. It is striking that the functions overlap to a very considerable extent, even though the most extreme forms were selected.



عن الغده الزعتريه

صورة رقم (٢٧)

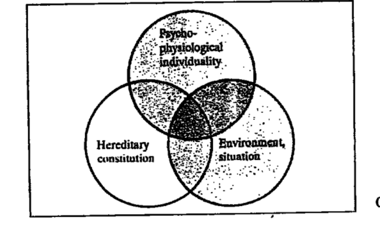
Diagrammatic representation of thymus structure. The organ is composed of lobules, one of which is represented here. The central part or medulla is rich in thymusspecific epithelial cells and the peripheral part or cortex is densely packed with lymphocytes. Pockets of lymphocytes in the cortex are enclosed by a more or less continuous layer of epithelial cells or their processes, which separate the lymphocytes from connective tissue and blood vessels. In the medulla, epithelial cells form Hassall's corpuscles – groups of hypertrophic or flattened epithelial cells concentrically arranged around a central hyaline or necrotic core. The lymphocytes in the thymus are not considered to be thymusspecific cells, since they are the progeny of immigrant cells entering the thymus epithelial framework from the circulation. Other cells found in the thymus – cells of the reticuloendothelial system – are also present in other lymphoid organs. In contrast to the situation in lymph nodes, germinal centres in the normal thymus are exceedingly rare. 1. Thymus lymphocytes. 2. Reticuloendothelial cells: histiocytes, macrophages, endothelial cells. 3. Hassall's corpuscles. 4. Elongated epithelial cells lining blood vessels and capsule. 5. Medullary epithelial cells.



صورة رقم (٢٨) عن الغدد الزعترية ومناعة الجسم

There is now abundant evidence that small lymphocytes as defined by size and morphology are a heterogeneous collection of cells with different origins, functions, fates and life-spans. For convenience, they may be grouped into various compartments, as shown here. The bone marrow small lymphocytes arise *in situ* and are renewed at a apid rate, their life span being of the order of three days. There is no vidence that they can participate directly in immune reactions. On the other hand, there is indirect evidence that they may function as hemopoietic stem cells: for instance, a relationship can be established between the marrow small lymphocytes and erythropoiesis. Furthermore, the marrow is an important source of "small round cells", which emerge from the blood in sites of acute inflammation and give rise to macrophages at these sites. In contrast, none of the lymphocytes found in lymph nodes and lymphatic channels and in the splenic white pulp can function as general hemopoietic stem cells. These small lymphocytes are long-lived cells and many are recirculating, from blood through lymphoid tissue into lymph and back to blood via the thoracic duct. They do not normally pass through the thymus. It has been well established by Gowans in Oxford that the role of these cells is in the mediation of immune responses. There is considerable evidence that, under the influence of antigens, these small cells will transform into large cells, which proliferate and react against the antigen. The small lymphocytes in the thymus may belong to yet another class: or they may possibly constitute a link between the marrow small lymphocytes and those of the circulating pool.

Figure 2b. Diagram illustrating the correlation of three major factors in the pathogenesis of psychophysiological syndromes.



الترابط الحيوى الخفي مابين (الوراثة والسلوك والنشاط)

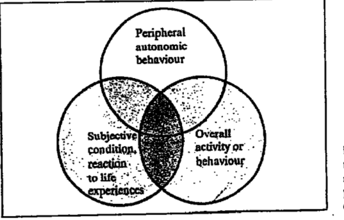
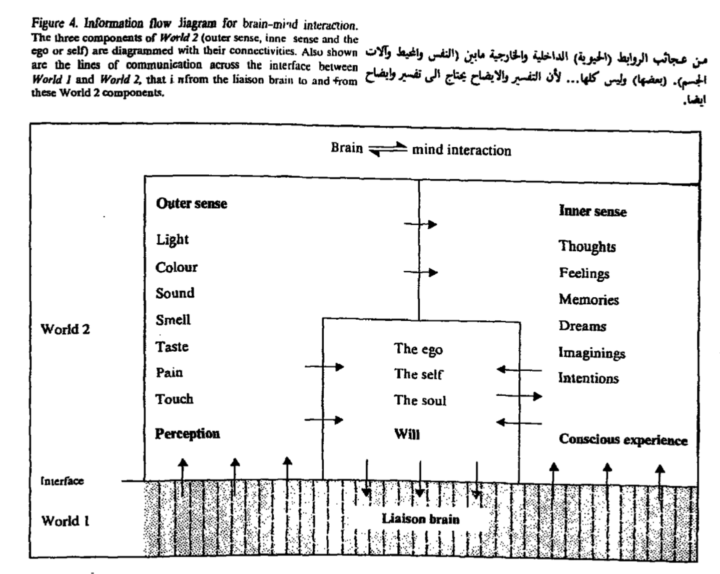


Figure 2c. The three areas of verbally mediated behaviour (subjective condition), overall activity or behaviour and peripheral autonomic behaviour which can serve to express psychic and somatic peculiarities in patients suffering from psychophysiological syndromes.

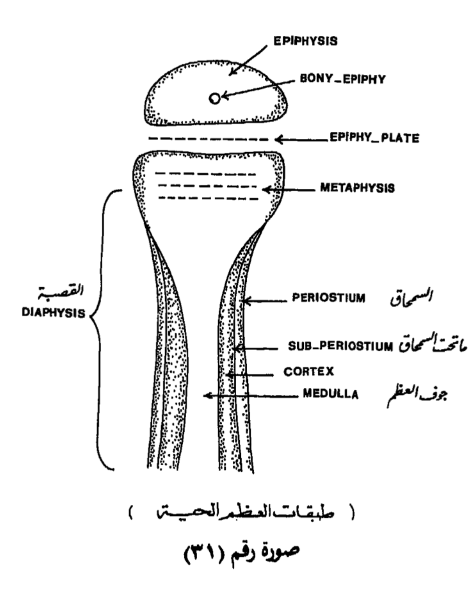
صورة رقم (٢٩)

Figure 4. Information flow diagram for brain-mind interaction. The three components of *World 2* (outer sense, inne sense and the ego or self) are diagrammed with their connectivities. Also shown are the lines of communication across the interface between *World 1* and *World 2*, that i nfrom the liaison brain to and from these World 2 components.

من عجائب الروابط (الحيوية) الداخلية والخارجية مابين (النفس والمحيط وآلات الجسم). (بعضها) وليس كلها... لأن التفسير والايضاح يحتاج الى تفسير وايضاح ايضا.

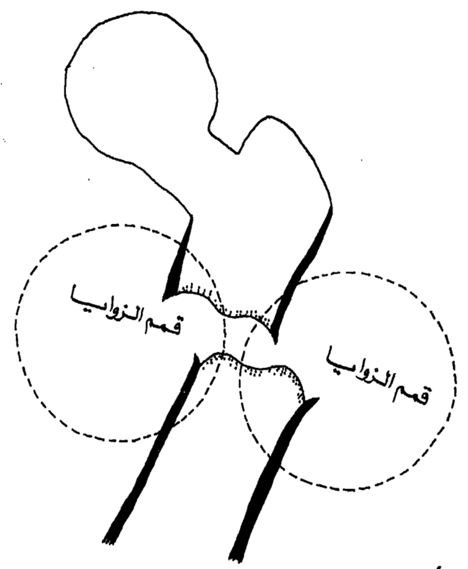


صورة رقم (٣٠)



(طبقات العظم الحية)

صورة رقم (٣١)



أهم المناطق الخطرة في الكسر .. والقابلة للتشويه في القالب العام" للعظم" مالم تجبر وتعدل بمهارة وحذق ففيها تتم عمليات الهدم والبناء في وقت مبكر جداً

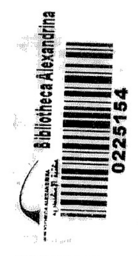
صورة رقم (٣٢)

صدر عن الجمعية العربية للثقافة والفنون

مطابع الفرزدق التجارية
تلفون ٤٧٨٨٥١٠ الملز



مطابع الفرزدق التجارية
تلفون ٤٧٨٨٥١٠ الملز



السعر : ٢٠